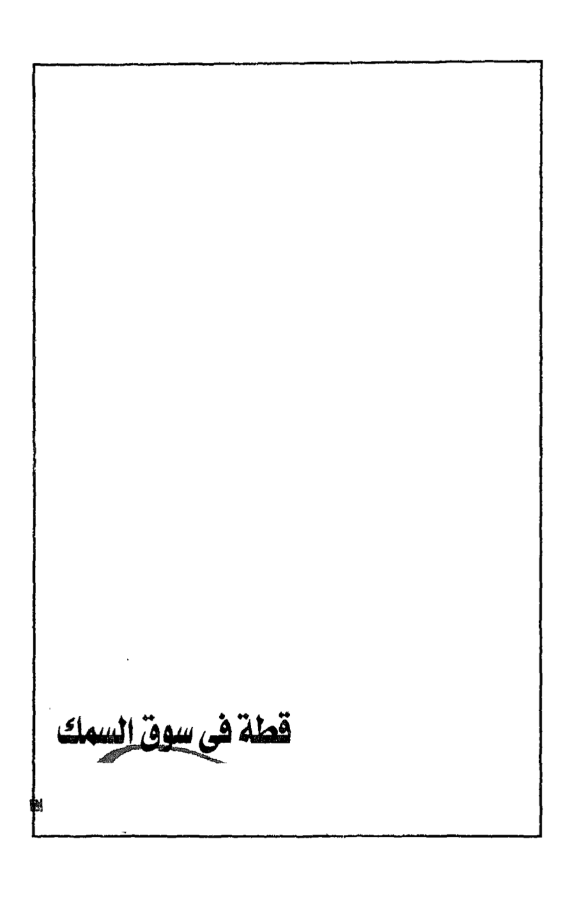
مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١ مكتبة الأسرة

عبد الفتاح رزق

قطة فى سوق السمك

الأعمال الإبداعية





قطة فى سوق السمك

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى : **سيدة فى الشرفة**

التقنية : **ألوان مائية على ورق**

المقاس : **٩٥ × ١١٧ سم**

إيهاب شاكر

فنان مصرى لا يشق له غبار فى مجال التصوير، ولن نستطيع أن نوفيه حقه فى هذه العجالة السريعة، فهو صاحب عين ترى وعقل صاحب رؤية ومنهج، ومنذ بدايته الأولى وقد حافظ على أسلوبه الفنى الخاص والمتميز، وهو فنان قدير لم ينل حقه من التقدير إلا عند جمهور القراء من خلال عبقريته فى المجال الصحفى، حيث يفاجؤنا دوماً بشخصياته المبتكرة «فرقع لوز/ جيل تليفزيونجى/ جيل دشنجى» إلى جانب تخصصه الرائع فى رسوم وكتابات الأطفال، وإيهاب شاكر واحد من فنانى الكاريكاتير الكبار، ليس على المستوى المحلى، وإنما على الأصعدة العالمية. واللوحة المنشورة على الغلاف تمثل فى بساطتها وتفاصيلها ونمنماتها ودقتها، وشفافية ألوانها، وانسيابية خطوطها، أهم ملامح أسلوب الفنان القدير.

محمود الهندى

قطة فى سوق السمك

رواية

عبد الفتاح رزق



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الإبداعية)

قطة فى سوق السمك

عبد الفتاح رزق

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى
المشرف العام :
د. سمير سرحـــان

الجهات المشاركة :
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقـافـة
وزارة الإعـلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزار ة الشــباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

- ١ -

رأتها ، كأنما ترى نفسها ، تقفز من الزورق الى أحضـــان الموج ، لم تغطس ولم تحرك يديها • كان الزورق بعيدا عن الشاطىء وعن القلعة المطلة على البحر الذى يضمها فى ود • فزعت من أن تكون قد قررت الغرق والموت • اطمأنت عندما رأتها ثانية ، كأنما ترى نفسها ، وهى تمشى بقدميها فوق سطح المياه •• تتقافز بين القمم الزرقاء فى فضاء لا أول له ولا نهاية • أحست برغبة دافقة أن تصفق لها بكلتا يديها • تماسكت • اكتفت بالابتسامة • تنهدت كأنما تزفر كل متاعب عمرها •

اختفى الزورق وهى لاتكف عن جموحها وقد تطاير ثوبهـــا الأحمر •• فآثرت أن تتخلص منه ليضوى جسدها تحت الشمس وبريقها الذى ينبعث من الموج • رأتها ، كأنما ترى نفسها ، توشك على الاقتراب من الأفق البعيد • كانت ترفع يديها لتدخل بهما وهج قرص الشمس • سمعتها ، كأنما تسمع نفسها ، تصيح بصـــوت تلوى فى جميع الأنحاء • حادا ، متميزا ، خفتت دونه كل أصوات :

« آه •• لن أعـــود » !

تهللت أساريرها • استدارت بقامتها المفرودة ، اللدنة مبتعدة عن حاجز الموج وقد غشتها راحة كبيرة توسلت أن تسعد بها لأيام وشهور طويلة • صاحت من قلب قلبها أنها ، مثلها ، لن تعود •

لم تقل شيئا للجمع المعتاد الذى كان فى صحبتها وفى انتظارها · دبت خطواتها وهى تشير لسائق سيارتها الرابضة بجوار الرصيف ركب الجمع قبل أن تركب · تغافلت فى الطريق عن كلامهم المعاد حول حكايتها التى تواظب عليها آخر كل نهار · سألت فجأة :

« فين خالى » · ؟

لم تفهم اجابة واحدة · الآن تدرك أنه على حق ··

« خطفوك يا أحلام يا ابنة أختى ·· ترملت مرتين ·· مرة وأنت فى الثامنة عشرة ·· بعد سنتين فقط من الزواج ·· ومرة وأنت فى الخامسة والعشرين بعد سنتين أيضا من الزواج ·· الأول بحـراوى ·· والثـانى كباره ·· يقولون انك ورثت فى المرتين ربع الاسكندرية ·· ولكن ·· خالك الذى لا يملك شيئا أغنى منك · شيء واحد أحسن من كل شيء ·· تعالى معى نرجع الى الوراء ·· تعالى يا أحلام · أنا الصياد ·· وأنت عروس البحر » ·

يرتفع صوتها دون أن يرتفع ، كأنها تواجهه :

« كيف يا خال ·· كيف » ؟!

تتواصل أفكارها والجمع معها يواصل المقدسة ·· ينفذون كل شيء وفق اشارة منها ·· يلتقون وتلتقى معهم بمعارف وبأغراب ·· توقع على الأوراق بيد تشعر أنها لاتملكها ·· تضحك عندما يعيدون على مسامعها عروض الزواج الجديدة ·· كيف يفهمون ؟ ·· انها لا تحب لعبة الأفلام السينمائية التى تقول انها تخشى الطمع فى ثروتها ·· كما أنها ليست كمـا تقول شـقيقتها الصغرى « منى » تبحث عن انسان مختلف عن « المعلمين » اياهم ·· انها تسمع نداء واحدا يسمعه معها خالهـا ·· الوحيد الذى تفهمه ويفهمها ·· أن يعود الزمن الى الوراء عشر سنوات ·· أن تصبح فى الخامسة عشرة ·· ويعاودها التساؤل : كيف ؟

كانت تظن أن ذلك المجنــون الذى يقولون انه يرسم اللوحات وتظهر صورته فى الجرائد ، وأحيانا يظهر بنفسه فى التليفزيون .. كانت تظن أنه يجىء ضمن الطابور الطويل الذى يريد الزواج منها .. ومع أول فنجان قهوة قال لها دون مواربة انه يحب أختها « منى » ويريد الزواج منها .. وكان الرد الغريب من أختها الذى استنكرته وان كانت قد أعجبت به :

« نعم أنا خريجة فنون جميلة مثله .. ولكن أريد أن أصبح فنانة من نوع آخر .. أنا أهوى الرقص » !

هى فى الخامسة والعشرين ولكنها كبيرة العائلة .. كبيرة الحى كله .. كبيرة الاسكندرية .. وفي عنقها أختها « منى » .. وأيضا شقيقها « عزمى » الذى لن يمر عامان الا ويكون ضابطا فى البحرية .. فهل تكتفى بأن تكون تلك الكبيرة .. هل تتنازل عن حلمها الغريب .. المستحيل ؟!

عادت تسأل فى الحاح :

« فين خالى » ؟

ولم تسمع أى جواب !

هبت « النوة » المتوقعة .. انكمشت كل قوارب وزوارق الصيد عند أقدام قلعة « قايتباى » .. انزوى الرجال فى المقاهى مغلقة الأبواب .. هطلت الأمطار ليومين كاملين .. ثم هدأ كل شىء ، وصفت السماء ، واستكان الموج ..

يقول لها واحد من الجمع الذى يلاحقها ويأتمر بأوامرها :

« رجالة البحراوى عايزين يخلصوا من رجالة كبارة .. » !

ترد وهى تتخلص من الأساور الماسية :

« خليهم يخلصوا من بعض » !

ينزعج الرجل :

« كلهم رجالتك » .

تقول فى حسم يعرف الرجل منه أنه آخر الكلام :

« أنا ما أملكش حد .. الشاطر هو اللى يحبه الناس ».

كانوا فى أول الأمر يقولون انها لن تصلح للامساك بالدفة ، وقيادة تلك الأعمال المتراكمة فى عرض البحر ، وفى الشاطىء ، وفى الأسواق ، وفى البنوك .. انه ميراث رجلين من أعتى الرجال .. لم تنجب من أحدهما وكان كل شيء باسمها .. فلابد أن كل شيء سيضيع منها .. انها لن تستطيع الصمود .. انها حتى تبكى أمام مشاكل صغيرة .. وأفاقوا على جبروتها . .

جبروت من نوع خاص ..

كان أول امتحان لها عندما تلاعبوا فى كميات الصيد .. وفى المبالغ العائدة .. وكان ردها بسيطا .. باعت كل شيء .. كل شيء .. بعقد وهمى لشخص وهمى .. قالت انه قادم من بور سعيد ليتسلم الجمل بما حمل .. وعندما تولى الجمع الخاص بها نشر الاشاعة .. تراجعوا جميعا .. تراجع بعضهم بمقدار .. وتملص البعض .. ولكنها تحكمت فى الأمور وحينما جاء الكبار يناشدونها عدم البيع .. تظاهرت بأن كل شيء قد انتهى ولا فائدة من الرجاء .. بعد جهد كبير منهم وافقت بشروطها .. كانت موقنة من الصراع القديم المتجدد بين رجال زوجها الأول ، ورجال زوجها الثانى .. وأصبحت مشكلتها الدائمة هى كيفية التغلب على هذا الصراع ، والتخلص منه .. فهم جميعا الآن فى سفينة واحدة .. هى الربان وهى القائد .. سفينة واحدة هى عشرات السفن والقوارب

والزوارق ·· والذى يريد أن يكسبها عليه أن يكسب نفسه أولا ·· ويادار ما دخلك شر !

ثم ياعالم كل تلك المشاكل وأكثر منها ليست مصدر متاعبها وعذابها الحقيقى ·· حتى يفهموا أنها فى أحيان كثيرة تشعر كأن صاحبة كل تلك الأعمال والأموال انسانة أخرى غيرها ··

انسانة ليست « أحلام » التى تحمل اسمها ··

ليست أحلامها !!

٢

ها هو الفستان الأحمر الذى رأته فوقها قبل أن تتخلص منه ليضوى جسدها تحت الشمس • تغلق الباب لتكون وحدها وترتدى الفستان ثم تخلعه قبل أن يستقر عليها لحظة واحدة • ينفرد عودها أمام المرآة وينسدل شعرها الأسود فيغطى الثديين • هذه هى عروس البحر •• لاتصدقوا أنها كانت بذيل سمكة كبيرة • ندت عنهـــا آهة كاوية • كيف هان هذا الجسد مرتين • كيف ارتضت عروس البحر أن تكال فى الميزان • أن تنغرس فى لحمها أنياب شائخة ، جائعة ؟ •• لم تكن تملك ما تدافع به عن نفسها •• لم يكن قلبها قد خفق بحب أحد • كانت صغيرة وعندما أصبحت كبيرة عادت صغيرة • عندما همست مرة بأنها عروس البحر ، وأنها لاتعشق غيره سخروا منها ، وضحكوا • لم يكترث بها أحد غير خالها • عبد الله : •• هو الوحيد الذى كان يتعاطف معها ويناديهـــا : « ياعروس البحـــر » !

عنـدما اعترض على زواجها أول مـرة •• قالوا انه مخبـول ولا وظيفة له ولا عمل • وعندما اعترض فى المرة الثانية •• قالوا مسـكين لا يريد من الدنيـا شيئا •• وكثيرا ما يحـدث نفســه فى الطريق • وفى الحقيقة أنه كان يتحدث فى كل مرة الى الناس •• كل الناس • هم فى حاجة لمن يرشـــدهم ويقول لهم ما يقول • سألتـــه مرة :

« لماذا لم تتزوج ياخال » ؟

فات وقت طويل قبل أن تسمع منه الجواب ٠

« العروس تنتظرني في أعماق البحر » !

عادت تسأله ضاحكة :

« هل تشبهني » ؟!

يرد في غضب ظاهر :

هي عروس البحر الأصلية ٠٠ هي الحقيقة وأنت الحلم ٠٠ أنت يا ابنة أختي التي ستقودينني اليها ٠٠ اياك أن تتخلى عن هذا الحلم » !

ترتدي الفستان الأحمر ثانية لتنام به ٠ تحلم قبل أن تحلم هذا هو عالمها الخاص الذي لا يشاركها فيه الا خالها ٠ كلهم يهابونها ويخافونها رغم أنها أصغر من معظمهم ٠ ينتظرون ما تعطيه لهم ، قبل أن ينتظروا سماع ما تقوله ٠٠ فما بالهم بأحلامها ؟! ٠٠ تتساءل ٠٠ هل الذي امتلكته بعد أن ترملت مرتين يعطيها كل هذا السلطان » ؟

ماذا لو توقفت عن هذا السلطان ٠ تخلت عنه ٠٠ لكن ٠٠ لو تركت كل تلك الأعمال لغيرها ٠٠ فسيطاردها السلطان ٠٠ هي لاتريده وهو يريدها ٠٠ ممتلكاتها في كل أرجاء المدينة المنفرطة شاطئا بعد شاطيء ٠٠ ترى ماذا يحدث لها ٠٠ وهل حقيقة تريد أختها « منى » أن تصبح راقصة ؟ ٠٠ وكيف سيصبح أخوها « عزمي » ضابطا في البحرية ؟ ٠٠ تنهدت في حرقة قبل أن تنام :

« آه ٠٠ ليتني لا أعود » !

عند قمة شارع « النصر » وفي مواجهة باب جمرك الميناء الشهير باب « ستة » كان « عبد الله » يقول خطبته الثانية للمصلين بعد خروجهم الجماعي من مسجد « ابن خلدون » ٠٠ وقبل تفرقهم في الحي الكبير ٠

كان يتوسط الطريق بقامته المديدة ، ويعلو صـــوته حتى يتغلب على أصوات صفارات البواخر الراسية ، والقادمة الى الميناء ٠٠

لم يحفل به الكثيرون ، فهم يعرفونه ، وتعودوا أن يروه فى كل مكان ، وان كانوا يسعدون كل مرة بما يقوله فى جرأة لا يقدر عليها أحد منهم ، وخاصة على مسمع من رجـال الشرطة ٠ يضحك أحدهم قائلا : « هذه هى عادة « جحا » ٠٠ أهله يلعبون بالأموال وهو لا يعجبه العجب » ٠٠ ويقول آخر وهو يبطىء من خطواته حتى يسمع المزيد من كلماته : « حرام أن يفعل عبد الله هذا بنفسه ٠٠ قلبه على الناس وهم يكتفون بالسخرية منـه ٠٠ لو كنت مكانه لأرحت نفسى رعشت كالملوك » !

انفض الجمع وأصبح « عبد الله » وحده ٠٠ انخفض صوته حتى أصبح كأنه يتحدث مع نفسه :

« جحـا يا أولاد الأفاعى ٠٠ هل تروننى أركب الحمار ؟ ٠٠ يدور الزمن بكم وأنتم كسمك البحر ٠٠ الكبير يأكل الصغير ٠٠ تسرعون الى الشباك وتفرحون للأسر ٠٠ ولا تهتمون بمن يشترى وبمن يبيع ٠٠ اسمعوا كلامى وفضوا أنفسكم من حالى ٠٠ لن أقول لا فائدة لأن مهمتى أن أجىء لكم بالفائدة ٠٠ افعلوا ما تشـاءون ياسمك البحر ٠٠ عودوا الى بيوتكم وأخلدوا للنوم ٠٠ فرغت منكم اليوم ٠٠ أنا ذاهب للبحر نفسه ٠٠ هو وحده الذى يقدر كلامى ٠٠ هل كان « جحا » يتحاور مع البحر ٠٠ ؟!

قبل أن يأخذ طريقه فى الأزقة المفضية الى « رأس التين » ٠٠ لاحقه الرجل الذى أوفدته « أحـــلام » للبحث عنه والعودة به الى البيت ، تردد كثيرا قبل أن يقترب منه :

« ياعم عبد الله الست عايزاك » ٠

رد دون أن ينظر ناحيته :

« مين فيهم ‥ اللى أنا أعرفها ‥ ولا اللى تعرفها انت » ؟

اندفع الرجل فى غباء :

« اللى نعرفها احنا الاثنين » !

قال « عبد الله » وهو يستدير ناحيته ، ويدفعه بكلتا يديه :

« حمار ‥ روح لحالك » .

ابتعد الرجل دون أن ينطق ، ليس وحده الذى يعرف « عبد الله » عندما يغضب ويستخدم يديه . لقد فعل أقصى ما هو مطلوب منه . انتظر طويلا حتى انتهى من خطبته . كان الوحيد الذى صفق له . دعاه لأن يعود معه ولكنه ركب رأسه كما يفعل دائما . هذا ما سيقوله لها . ولكن ماذا يقول عن سؤاله ، وعن جوابه ‥ لن يقول شيئا . يكفيه تعب هذا اليوم . معهم حق الناس فى أن يطلقوا عليه لقب « جحا » ‥ « هو جحا ‥ وأنا الحمار » !

كان « عبد الله » يسعى فى اصرار ناحية البحر !

- ٣ -

كانت وحدها فى حجرتها ولكنها بدت فى مئات الصور · كانت تتراقص وسط أربعة جدران من المرايا · تتتافز بقوام نافـــر ، شديد البياض وقد أطلقت لكل مفاتنها العنان · مرة تتخذ شكل تمثال اغريقى ·· أفروديت ·· فينوس ·· وربمـــا كيلوباترة · يتطاير شعرها الحريرى الأسود فلا يعرف لحظة واحدة من اللمات فوق الظهر ، أو الكتفين ، أو الثديين · تدور وتدور صاخبة تنعكس هى الأخرى ، دون أية صورة ، فى المرايا · حينما انتهت الموسيقى ألقت بنفسها فوق فراشها الدائرى غير متلمسة لأى غطاء ·· كانت تتساءل :

« ماذا لو اشتركت مع أحلام فى مسابقة ملكات الجمال ·· سيكون من الصعب اختيار الأجمل من بيننا نحن الاثنتين ·· هى مرة ملكة الجمال وأنا الوصيفة ·· وأنا مرة ملكة الجمال وهى الوصيفة ·· تزوجت مرتين وأنا على باب الله · أنا أكملت تعليمى فى كلية « مظلوم باشا » ·· وهى توقفت فى اعدادية « نبوية موسى » لتتخرج بعدها مرتين ·· مرة فى كلية « البحراوى باشا » ·· ومرة ثانية فى كلية « كبارة باشا » ·· وبعدها حصلت على الدكتوراه فى سوق السمك ، والعقارات ، والمعاملات مع بلاد وراء البحر ·

« لا أعرف ماذا تريد « أحلام » ·· ولكنى أعرف ما أريده ··

لن أعمل مدرسة « رسم » ، ولن اعتكف في متحف ، حتى ولو كان المتحف الروماني . يفهمونني خطأ عندما أقول اني أهوى الرقص .. لا أريد أن أصبح راقصة .. ولكني أريد أن أفعل شيئا من أجل كل الذين يرقصون .. هكذا أفهم الفنـــون الجميلة .. لا أحب اللوحات الجامدة ، ولا التماثيل المتيبسة .. لا اللوحات ولا التماثيل تستطيع أن تدفع عن نفســـها ذبابة .. وأنا أريد أن أطير .. أطـير » !

سمعت نقرات على الباب . هذه هي « أحـلام » وتلك هي طريقتها كلما جاءت اليها . أسرعت تضع « الروب » فوق جسدها العارى .. ثم ألقت بنفسها ثانية فوق الفراش الدائرى .. قالت « أحلام » فور دخولها :

« بعد الموسيقى ماخلصت .. قلت أقعد معاكى شوية .. عندك مانع .. أخبارك ايه » ؟

اندفعت « منى » قائلة :

« اخترتك ملكة جمال » .

قالت « أحلام » باسمة :

« يا خبر .. وانتى » !

قالت « منى » وقد اتسعت عيناها فانعكس بريقهما فى كل المرايـا :

« انتى الأول .. وبعدين أنا .. مافيش واحدة حتقدر تغلبنا »!

جلست « أحـــلام » الى جـــوارها ومدت يدها لتربت على كتفها فى ود :

« لسه رافضة عادل مرسى » ؟

ردت « منى » فى دلال :

« أنا موش رافضاه ·· أنا مخلياه احتياطى ·· لما يتقدم غيره ·· يبقى قدامى فرصة الاختيار ·· » ·

كانت كلمة « يابختك » على لسانها ، ولكن الكلمة الأخـــرى ســـبقتها :

« والحب » ؟

كان الرد عند « منى » جاهزا :

« الحب اختيار » ·

غاب ذهن « أحلام » ·· ومتى أختار أنا ؟ ·· ليتهم يعودون بعمرى الى الوراء ولكنى وقعت كحمامة بيضاء من طلقتين غادرتين ·· يحسدوننى على مالى وجمالى··ويا ليتهم يحسدوننى على جمالى فقط ·· مهما كان سلطانى كما تقولون ·· لن أجبرك يا منى على شىء ·· ليتك تساعديننى ·· أنا بحاجة ماسـة لمساعدتك ·· فهـل أفضح نفسى وأقول كل شىء ·· هل ستفهمين أم تراك تسخرين »؟!

ارتفع صوت « منى » :

« زى ماتكونى عايزه تقولى حاجة » ؟

انتفضت « أحلام » ولكنها تداركت بسرعة :

« ايه رأيك تمســكى انتى كل حاجـــة ·· الأعمـــال والحسابات و ·· » ·

قاطعتهـــا :

« ما أنفعش » !

قالت أحلام وهى تهب واقفة :

« علشان الرقص » ؟!

ضحكت « منى » رغما عنها :

« أنا قلت غاوية الرقص ·· وموش معنى كده عايزه أكون رقاصة ·· لا ·· يعنى ممكن أعمل فرقة للفنون الشعبية هنا فى اسكندرية ·· ويمكن فى مصر ·· وأسافر بالفرقة العالم كله ·· ان شا الله حتى مالطة » !

جاوبتها « أحلام » ضحكاتها :

« وتسيبينى هنا فى الهم وحدى » ؟

اعتدلت « مني » ووقفت قبالتها :

« اسمعى يا أحـــلام ·· انتى موش عارفه انتى مين والناس شايفينك ازاى ؟ ·· انتى لا فى هم ولا حاجة ·· انتى فى نعيم ·· كل حاجة باشارة من صباعك ·· عارفه ايه اللى ناقصك ·· انك تختارى ·· ماقدرتيش واحنا غلابة تختارى ·· دلوقت تقدرى تختارى زى ما انتى عايزه ·· اختارى واحد يقف جنبك ·· راجل ولا كل الرجالة ·· ازاى أكون الوصيفة بتاعتك ·· من غير اللى يقدر جمالك » ؟!

طفرت الدموع من عينى « أحلام » ، حاولت أن تدير وجهها بعيدا عن شقيقتها ولكنها وجدتها تسرع باحتضانها ، والدموع تطفر من عينيها هي الأخرى ·· تتعانق الجميلتان ·· وشتان بين كل منهما · هل كانت « أحلام » جادة عندما عرضت عليها أن تأخذ مكانها ·· أن يكون لها الجاه والسلطان · أن يخافها بعض الرجال ، ويخضع لها بعضهم الآخر ·· أن يطمع فيها وفيما بين يديها رجل غامض قد يظهر فجأة ·· وربما يكون قريبا من العين والمكان ولا أحد يصدق أنه يجرؤ على المواجهة ، والاقتحـام ، والحصـــول على « أحلام » ؟!

هل يمكن أن تستمر الحياة وكأنهما من طيور « النورس » ٠٠ حرية الأرض ، والبحر ، والفضاء ؟ ٠٠ لماذا تشد « أحلام » نفسها دائما الى الماضى ٠٠ لماذا يبحث الانسان ، أى انسان ، عما ينغصه ، ويشقيه ٠٠ فاذا كان سعيدا ، هانئا ٠٠ يقول · لقد كنت غير سعيد ٠٠ واذا كان حرا ، طليقا ٠٠ يبحث فى اخلاص عن القيود ٠٠ فاذا قيدوا يديه ، وأفكاره ٠٠ ناضل من أجل كسر القيود ٠٠ نعم ٠٠ ليتنا مثل طيور « النورس » ٠٠ اننا حتى لانسعى وراء لقمة العيش ٠٠ كل شيء يأتى فى يسر ويصرف فى سفه ٠٠ لماذا اخترت أن تكون كل جدران حجرتى من المرايا ٠٠ ألا تكفينى ذات واحدة ؟! ٠٠ لماذا لاتزين تلك الجدران اللوحات التى تفوق الجمال الذى ازهو به ٠٠ تبكين يا أحلام وأبكى معك ٠٠ حتى هذا البكاء لا حق لنا فيه !!

- ٤ -

بدأت الحكاية ، أو الاشاعة ، فى تلك الحانة التى تتوسط شارع « العطارين » ·· لعبت كئوس « البراندى » الرخيص برءوس ثلاثة يجلسون حول مائدة واحدة مزدحمة بأطباق « المزات » والأكواب ·· قال أحدهم :

« المعلم سعد الله بتاع الشحن والتفريغ ·· حيتجوز المعلمة أحلام » .

رد الثانى وهو يدفع بما فى الكأس الى حلقة :
« قصدك العيله أحلام » !
سأل الثالث :
« وعرفت منين ·· هو قالك ؟ » .

اختلطت الأسئلة مع الأجوبة ، ولكن « الخبر » طار من شارع « العطارين » الى « المنشية الصغيرة » ·· ومنها الى « المنشية الكبيرة » ·· ثم الى شارع « فرنسا » ·· ثم الى شارع « التتويج » ·· طار من حى الى حى ·· ولولا حاجز الموج لطار عبر البحر الى الجزر المقابلة ·· الى قبرص ورودس وكريت ومالطه !

وفى حانة أخرى بحارة ناصيتها على بداية شارع « التتويج » ·· تفرع الخبر ، وازدهر ، وزادت أوراقه ·· قالوا ان حياة « أحلام » ستكون فى خطر كبير اذا هى رفضت عرض « سعد الله »

للزواج منها ·· فكما هو بارع فى قيادة عشرات الرجال فى عمليات الشحن والتفريغ بالميناء الكبير ·· فسمعته لاتقف عنـــد حد ·· تعامله فى الأخضر ·· العملة الصعبة والمخدرات ·· وقدرته الفائقة فى أن يقوم بمهمة أكثر خطورة ·· الشحن الى العالم الآخر !

وصلت الحكاية بكل جذورها وفروعها الى « الجمع » الذى يعمل لحساب « أحلام » ·· رجال « البحراوى » ، ورجال « كبارة » ، فى وقت واحد ··.سعد الكثير منهم للاشاعة ، وأخفى القليل تخوفه من المشاكل التى قد تحملها الأيام القادمة ··

أصبحت الحكاية وكأنها حقيقة ··

فردت « أحلام » عودها وقالت وسط الرجال :

« موش جديد الكلام ده ·· حد يقول للمعلم سعد الله انى عازماه على العشا بكره » ·

تماوجت الأصوات ما بين موافقة ومعترضة · ارتفع صوتها ثانيـــة :

« خلاص ·· نتكلم فى الشغل » ·

وساد الصمت !

استكان « عبد الله » فى الزورق الراقد فوق الرمال ·· هذا هو مكانه المفضل ، ولولا انتقادهم له لكان بيته أيضا ·· فى هذا الزورق يبحر دون أن ينزل المياه · البحر أمامه يحاوره موجة بعد موجة ·· يحرك المجداف فى حركات متتالية فينطلق به الزورق كما كان يفعل زمان ·

هنا تأتيه ابنة أخته بنفسها ولا ترسل اليه واحدا من رجالها·· تجلس قبالته بالساعات فيغالبه الاحساس ، دون خجل ، أنه يأخذ

مكان أمها التي رحلت منذ سنوات قليلة ·· تفضي اليه بكل ما في قلبها ، وصدرها ، ورأسها ·· ذات مرة قالت له ضاحكة :

« متى تطاوعني وأنا أشتري لك « يخت » كبير بدلا من هذا القارب الذي خاصم البحر » ؟

يرد عليها وعيونه على الأفق البعيد :

« هذا القارب هو عمري ·· هو لي وحدي » ·

تداعبه أحلام :

« وأنا أقحم نفسي عليك » ·

يقول في ود :

« وهل يقحم الانسان نفسه على نفسه » ؟

انتظر أن تأتي هذه الليلة · طال انتظاره دون أن تأتي في موعدها بعد مغيب الشمس · توحي لهم بأنهـــا تبحث عنه وهي الوحيدة التي تعرف مكانه · لا يعنيه أن يعرف البعض كيف يعثرون عليه ·· ابنة أخته التي يعرفها غير ابنة أخته التي يعرفها كل أهالي المدينة ·· حينما يرونها فهم لايرونها ·· وحينما يرونه فكأنه لقاء تم منذ دهور · لو جئت يا أحلام لحكيت لك ماذا قلت لهم اليوم عند قمة شارع النصر · اقتنعوا بكلامي ولكنهم خائفون كعادتهم ··

عمري كله من أجل بارقة شجاعة ··

غالبه النوم فسقط المجداف من يديه · تململ في الزورق فندت أنات أخشابه البالية · في الصباح يسعى اليهـــا ·· والى العالم كله ··

جحا يا أولاد الأفاعي ·· هل ترونني أركب الحمار ؟!!

- ٥ -

انتبهت وهى تقود سيارتها مسرعة على طريق الكورنيش أنها فى منطقة « جليم » · ماذا لو توقفت عند « مظلوم باشا » وزارت الكلية ؟

عام كامل منذ تخرجها وهى لم تذهب الى هناك · ستكون مفاجأة لمن يعرفونها ، وخاصة أستاذها فى « التصوير » · كان يحلو لها دائما مشاكسته ومخالفته الرأى · بهرت الجميع بمظهرها الذى كان يتجدد يوميا ·· وبالطريقة التى كانت تتعامل بها فى سخاء · عرفت أن النظرات اليها كانت تمتزج ما بين الاعجاب والاحتقار · سمعت بأذنيها كلاما جارحا ، وان كانت لا تنسى أبدا ما قالته زميلة لا تعرفها : « لا هى فنانة ولا يحزنون ·· ما لها هى وكلية الفنون » ؟! ·· فكرت أن تنتقم منها ·· ولكن كيف تثبت لها ، أو لغيرها ، أنها فنانة ؟!

ركنت السيارة بجوار باب الكلية ·· اندفعت داخلة فى الممر المزدان بالتماثيل التى اكتملت ، وبمشاريع التماثيل · لاحظت أن الذين تصادفهم فى طريقها لايعيرونها أى اهتمام · قالت لنفسها انهم طلبة جدد ·· أين السعاة الذين تعودوا على كرمها ؟ ·· صادفت « النحراوى » الذى سارع بالترحيب بها ·· فسألته وهى تفتح حقيبتها فى لمح البصر ، وتعطيه أقرب شىء الى يدها ··

عما اذا كان « عادل مرسى » فى حجرة الأساتذة أم أنه فى محاضرة الآن ؟ • أخبرها الرجل وهو يفسح لها •• أنه فى لقاء الآن مع عميد الكلية • قالت وكأنها لم تسمعه •• انها ستنتظر فى حجرة الأساتذة وعليه اخباره أنها قد جاءت !

دخلت الحجرة وارتاحت لعدم وجود أحد بها ••

فرغت من احتساء القهوة التى أحضرها لها « النحراوى » •• وأدركت أنها دخنت سيجارتين •• ولم يظهر « عادل مرسى » أو غيره •• هل هو غاضب لأنها رفضت خطبته لها ؟ •• الى متى يطول انتظارها له ؟!

قبل أن تضع علبة سجائرها فى الحقيبة •• ظهر عند باب الحجرة •• لم يفتح ذراعيه ولم تسبقه كلمات الترحيب • قال وهو يدور حول المكتب ليجلس فى مواجهتها كأنها مازالت طالبة :

« أهلا يا منى » !

انفجرت تقول كلاما متداخلا عن الصدفة • وعن أنها كانت فى طريقها الى المعمورة • وعن حنينها للكلية • وعن نيتها للتحضير للماجستير • وعن الفراغ الذى تعيش فيه بعد تخرجها • انتظر حتى توقفت فقال فى اقتضاب ويده ممسكة بطرف لحيته المدببة على طريقة البوذيين :

« عندك مانع نروح مكان هادى نتكلم فيه » ؟

واصلت كلامها :

« أنا كنت رايحه المعمورة » •

استمر فى اقتضابه :

« نروح هناك » !

● ●

قال واحد من « الجمع » فى صوت خفيض :

« العشا مع سعد الله حيكون فين » ؟

لم تـرد عليه . لم تعودهم الرد على ما تكون قد حسمته ، وقررته . ماذا حدث لمثل هؤلاء الرجال ؟ .. هل من المعقول أن لقمة العيش تجعلهم بهذه الصورة .. خاضعين .. رهن الاشارة ؟.. كان أبوها يعمل معهم ولكنه كان معتزا دائما بكرامته . حاولت أن تتعامل معهم كواحدة منهم .. يسمعون رأيها ، وتسمع رأيهم .. ولكنهم يرفضون .. تدهش أنهم فى أحيان كثيرة يجبرونها على أن تمارس سلطانها عليهم .. فى بداية الأمر تمانعت ، وتقربت أكثر .. وكانوا يتباعدون.. يحرصون على مسافة كبيرة ، هائلة .. بينهم وبينها .. ويوما بعـــد يوم .. تعودت هذا السلطان .. انهـا لاتنشده ، وحتى لاتمارسه .. ولكنهـا ترى دون أى ضباب فى الرؤية .. أنهم يطالبونها به .. سمعت واحدا منهم يقول لآخر : « الأسد موش صياد » .. لم تفهم كلامه لحظتها .. ثم بعد وقت طويل فهمت .. انه الأمر الواقع . هى أرملة أســـدين .. هى مطالبة بالفرائس . قالت وهى تبتعد عنه :

« اطلع ساعدهم فوق » .

عرف المكان الذى ســـيكون فيه العشاء . هل هى حقيقة ، أم مجـرد اشاعة ؟ . هل تقبـل الزواج من سـعد الله ؟ .. هل تستطيع الوقوف أمام جبروته ! . صغيرة السن ، فائقـة الجمال وليست انســـانة سهلة .. لو أغمضت عينيهـــا لحظة واحدة لافترسوها .. لا يستطيع اخفاء اعجابه الشديد بها .. وأحسن له أن يظل على حافة هذا الاعجاب .. انها حتى لاتناديه باسمه .. نادرا ماتنادى أحدا باسمه . ترفع عينين كأنهما الليـــل والنهار معا فى وجه من تحادثه .. ومنهما ، ومن اشارة يدها ، ومن الكلمات القليلة المتسربة من فاكهة الشفتين .. تمارس سلطانها على الجميع .. وهم ، وهو معهم ، سعداء يرفعون الأيدى الى الرأس بالسلام

انتبهت الى أنها نسيت أخـــاها « عزمي » ‥ هل يجب أن يكون له دور الليلة ؟ ‥ انه يوم أجازته من الكلية البحرية القريبة في « راس التين » ‥ لو كان عليها مطالبته بحضور هذا اللقاء ، فهذا يعني دون أي شك أنها موافقة ، فهو رجل العائلة رغم وجود خالها ‥ لن تخبره بشيء ‥ أحسن ‥ وهو من عادته قضـــاء الأجازة ، وحتى الصباح ، مع أصدقائه ‥ ولن يحضر الى البيت الا لتغيير الملابس الرسمية ‥ فكرة ‥ لماذا لايحضر هذا اللقـــاء خالها « عبد الله » ؟

ستخدعه بأنها تريده في أمر آخر ‥ وهي تعرف مقدما رأيه اذا حدث الكلام عن الخطبة ، واذا ما قالت مانويت أن تقوله !

أين « مني » ؟ ‥ منذ الصباح وهي ليست في البيت ‥ سمعت أنها ذاهبة الى المعمورة ‥ هل ستقضي النهار كله هناك ‥ والليل أيضا ؟! ‥ هي حرة تفعـــل ماتريد ‥ وكانت تتمنى أن تكون معها ‥ وتتمنى أكثر أن تعرض عليها خطتها في هذه الليلة المشهورة ؟ ‥ هل ياترى سيحضر « سعد الله » وحده ، أم سيصحب معه أفراد عائلته ؟ ‥ لايهم ‥ ستكون جاهزة لكل الاحتمالات ، فهي ترى أن الحكاية خطيرة ‥ امتحان آخر جديد لها ‥ مكتوب عليها أن تخرج من إمتحان لتدخل امتحانا آخـــر ‥ ويقولون السلطان !

لابد أن تسعى من الآن وراء خالها « عبد الله » ‥ اذا لم يستقر به المقام في النهاية بالزورق ‥ فلن تجده أبدا ‥ عروس البحر يا خال مهددة الليلة بمن يريد افتراســـها . بدأت الحكاية اشاعة ، وكل اشاعة ولها دخـــان ‥ فاما حسمت كل شيء ‥ أو يضيع منها كل شيء !

عروس البحر يا خال يريدون جـــرها من بين الموج الى هذه الأرض الوعرة ، الزاخرة بالمطبات ، وبالمواجع ، وبالخوف .

اخاف أن تثور فى وجوه كل من يحضر ٠٠ ولكنى سـاكون السابقة فى فتح الموضوع ، وفى اسدال الستار عليه ٠٠ اليـوم أنا أمسك بكل الأوراق بين يدى ٠٠ أنا صاحبة شأنى ومصيرى ٠٠ لعبة كنت أتمنى ممارستها منذ وقت طويل ٠٠ وما السلطان الا لعبة ٠٠ والليلة سترون ، وستحكمون !

لا مانع من أن تذهب الى الكوافير ٠٠ ولا مانع من فستان جديد ٠٠ يجب أن تظهر كملكة الملكات ٠٠ هذا هو اختيار أختها منى ٠٠ وعندما تختار الجميلة من هى أجمل منها ٠٠ فهذا هو المستحيل الحقيقى الذى يصبح ممكنا !

الويل لك يا سعد الله مهما كانت الحكاية ٠٠

عروس البحر ستشدك الى الأعماق البعيدة التى لن تستطيع الظهور بعدها على السطح ، أو على الشاطىء !

مالك أنت وعالم أحلام ٠٠ وسلطان أحلام ؟!

الليلة موعدنا !

- ٦ -

قبل أن تعبر نفق قصر « المنتزه » الى « المعمورة » ٠٠ دار عقلها بسرعة تفوق سرعة السيارة التى تقلهما معا ٠ هل اقتنع بأن ذهابها اليه فى الكلية كان محض مصادفة ؟ ٠٠ انها نفسها لاتعرف كيف تصرفت بهذا الشكل ٠ عادة لاتسعى انسانة للقاء انسان رفضت عرضه بالزواج ٠ هل هناك جزء فيها لايزال مقتنعا به ٠ ثم ٠٠ وهذا هو الأهم ٠٠ هل يحبها حقيقة ؟ ٠٠ أم أن الحكاية معادة فى كون الطالبة ، ثم الخريجة فائقة الجمال ، وعظيمة الثراء أيضا ؟ ٠٠ طوال الوقت وهى تنظر اليه بطرف عينها وتراه ساهما ينظر أمامه وكأنه يساعدها على قيادة السيارة !

نطقت أخيرا :

« أستاذ عادل ٠٠ » ٠

استدار ناحيتها بعيون تقاطعها ٠٠ فأسرعت تقول :

« عادل ٠٠ انت بتحبنى » ؟

عاد بنظراته الى الأمام ، وفاتت لحظات قبل أن يرد :

؟ لسه ماوصلناش » !

أعجبها رده ٠ علت ضحكاتها ٠ عاد بنظراته اليها ٠٠ الى شعرها المرفوع فوق رأسها كالتاج ٠٠ الى وجناتهـــا التفجـــرة

بالحمرة ، وبالحيوية • كيف تفهم أنه يريدها بكل مواصفاتهـــا فيما عدا ذلك الثراء الذى ترفعه كالراية فوق راسها ، وفوق التاج؟•• ثقته بنفسه ، وبأعماله الفنية ، وبشهرته التى تجعل منه اسما معروفا •• هى منابع الأمان لأن يشرح لها كل شيء •• وها هى تيتح الفرصة لأن يتسرب الى دنياها •• هذه الدنيا ليست الجاه الذى تعيشــه مع شقيقتها ، وليست خطـر التعالى الذى تدمنه مدفوعة بكل ما يبرره لها •• وربما يكذب فى أن يصور بصدق طبيعتها •• لأنها بدونه ، وبدون تطلعها الدائم لأن تبـــدو مختلفة عن بقيـة الفتيات •• عن كل الناس •• ستكون خير من ترافقه رحلة حياته •• ولكن •• كيف يتحقق ذلك ؟! •• انه كأنه أمام مشروع فنى اكتملت فى وجدانه كل عناصره •• وكل ماينقص هو البداية •• فهل تكون البداية اليوم ؟!

فاجأته بالسؤال :

« تحب نطلع شقتنا •• ولا نقعد فى اى مكان » ؟!

ها هى تمارس التعالى والحرية الكاذبة دون مواربة • ماذا تريد أن تقول له ، وماذا تريد أن تفعل به ؟ •• لم يخطر بباله لحظة واحدة أن يكون انفــراده بها هو الحل • لو جاء ذلك الخاطر . ولو لمرة خاطفة ، لاختلف أسلوبه معها •• وربما لم يتقدم لخطبتها •• لابد أنها تعرفه ، وتفهمه •• فالطريق الذى تلوح بأن يســير معها فيه •• ليس هو الطريق الذى يريده معهـــا هى بالذات •• لابد وأنها سمعت عنه عشرات الحكايات • وأغلبها حكايات حدثت بالفعل • فهو ليس ذلك القديس الذى يحمل فنونه ويطير بها فوق السحاب !

عبرت السيارة البوابة دون أن تسمع جـوابه • طافت من شارع الى شارع وقبل أن تتوقف سمعته يقول :

« منى •• أنا باحبك » •

ابتسمت وأكملت ايقاف السـيارة ، امتدت يده لتحتضن يدها القريبة منه . عاود كلامه :

« ودلوقتى ياللا بينا نرجع » !

قالت في نشوة غالبتها :

« على فين ؟ .. موش حنتكلم ؟ » .

رد في حسم هامس :

« حنروح للعيلة .. لأختك ولأخوكي .. حاطلبك تاني » !

في طريق العودة .. دار عقلها من جديد .. ماذا فعلت ؟ .. لم يعد هناك سبيل للتراجع . فاته أن يسألها اذا ما كانت هي أيضا تحبه .. لايكفي أن تعرف مدى حبه لها . فهل هي تحبه ؟ .. لو طاوعته اليوم لسارت كل مقدرات حياتها في اتجاه واحد .. أن تصبح خطيبته .. ثم زوجته .. وهي لاتريد أن يحدث ذلك الآن ... هل سـمع عن مشاريعها لفرقة الفنون الشعبية .. ولفكرة الطواف في مدن العالم ؟

انحرفت بالسيارة ناحية مظلوم باشا . قالت وهي تتوقف أمام باب الكلية ، وكأنها انسانة أخرى :

« زى ما أخدتك .. أرجعك .. مع السلامة » !؟

● ●

يداهمه الاحساس وهو يدير المفتاح في الباب ، بأنه يقتحم عالما لايخصـه . ليس من حقه . كانت حقيبة اليد مازالت فـوق الأرض بين قدميه .. وفور أن انفتح الباب .. تضاعف عنده ذلك الاحساس ورجع برأسه الى الوراء .. ما هذا ؟ .. هناك لمسات واضافات لم يتعودها من قبل . هل يمكن أن تفعل « أحلام » كل تلك المظـاهر غير المالوفة بمناسبة أجازته هـذا الأسبوع ؟ . غير

معقول . جاءه الرد من واحدة فى « الجمع » دون أن يسألها :

« عندنا ضيوف على العشا » !

تركها واتجه ناحية حجرته . لايعنيه أن يأتى ضيوف سواء يعرفهم أو لايعرفهم . كل ما يعنيه الآن أن يسارع بالبدء فى طقوس الأجازة .. الحمام ثم ارتداء غير الذى يرتديه مرغما طوال الاسبوع. بعد لحظات خاطفة كان قد استعد للنزول . قبل أن يغادر حجرته كانت « أحلام » تقف أمامه :

« نازل طبعا زى عوايدك » ؟

رد على عجل :

« ازيك يا أحلام .. عايزه حاجة » ؟!

يتساوى الآن أن تخبره أو لا تخبره . فى الحالتين لن يفعل شيئا . وهو معذور .. من حقه أن يستمتع بأجازته التى تبــدأ الليلة وتنتهى الليلة القادمة . أخوها « عزمى » مع أختها « منى » هما المسئولية الوحيدة التى لاتغامر بها فى السوق .. ولو انحسرت عنها كل أموال الدنيا .. وقفت الى جوارهما لتتخرج واحدة ، وأن يمر وقت طويل حتى يتخرج هو أيضا ويصبح ضابطا فى البحرية. قالت وهى تشده الى صدرها :

« انت موش عايز حاجه » ؟

تملص وأسرع ناحية باب الشقة . لم يتعود أبدا أن تضــع شيئا فى يده . كل ما يريده يجده دون أن يطلب بجوار فراشه . عادت تسأله :

« حتتأخر » ؟

كان قد خرج . هل سيبقى بقية حياته على هذه الصورة ؟ .. نادرا ما يجلس معها .. نادرا ما يدخل معها فى أى حوار . كارثة

أن يفعل نفس الشيء بعد أن يتخرج ·· وبعد أن يتزوج ·· لماذا لايضعها مكان أمه ؟ ·· هي لاتكبره بسنوات كثيرة ولكنها تعامله كابن لم تنجبه ·· تريده أن يكون بجانبها · جاهدت لأن يلتحق بكلية التجارة ، أو حتى الحقوق حتى يشرف على كل أعمالها ·· ولكنه على خلاف ما توقعت اختار دراسته التي تجعله دائما بعيدا عنها ·· وعن البيت ·· هل تراه يتعجل الهروب ؟ هل هو غير راض عنها ؟ ·· هل سيجيء اليوم الذي يخرج فيه من حياتها كلها ؟!

فقدت صفاءها وفكرت في أن تلغي كل شيء · اذا جاء ذلك الرجل فلن يجدها · كيف تهورت في دعوته للعشاء لمجرد سماعها اشاعة ؟ · هل يكتب النجاح لما تنوي أن تقوله ، وأن تفعله اذا ما جاء فعلا ·· ان الحي كله ، ينتظر في شوق لمعرفة نتيجة الدعوة واللقاء ·· فربما تتزوج « أحلام » للمرة الثالثة ·· وهذه المرة باختيارها ، وبموافقتها على عكس اختيار أبيها وأمها في المرتين السابقتين ·· وربما ترفضه ·· وهذا يعني اعلان حرب يقولون انها لن تصمد فيها ·· وربما خسرت كل شيء ·

شاغلها التحدي فقاومت به فقدان الصفاء ··

طافت بعينيها في أرجاء المكان · كل شيء في أحسن صورة ·· كيف فعل « عزمي » ذلك ؟ ·· كيف لم يلحظ الجديد في الشقة ؟ ·· كيف لم يلحظ فستاني ، وتسريحة شعري ؟ ·· ياه ·· مرة أحاسبه على أني أمه ·· وهأنذا أحاسبه وكأني زوجته ! ·· أمه لا يمكن أن تطالبه بالثناء على تسريحة شعرها ·· وزوجته ما كانت تسمح له بالخروج ليتركها في البيت وحيدة !

« الجمع » يعرف كل ماهو مطلوب منه ويجب تنفيذه · لايظهر اثنان في وقت واحد مهما كانت الحاجة · الطقوس في

تقديم العشاء وما قبله وما بعده وفق ما حددته وأمرت به دون زيادة او نقصان ..

تقولها ثانية لنفسها : « يا ويلك ياسعد الله » ..

رن جرس الباب .. سمعته على خلاف مايرن .. عاليا جدا ..

ارتبكت . لمت شتات نفسها . تأهبت !

- ٧ -

جاءت لزيارته ٠٠ كانت جالسـة على الرمال بجوار الزورق الذى يقبع فيه ٠٠ يشيع ضـيـاء القمر فيصـل بين قمم الموج المتراقصة ، وبين قسماتها كلها ٠٠ شعرها وصدرها العـارى ، وخصرها ٠٠ و ٠٠ بقية عودها غير البشرى ٠٠ كأنه ذيل سـمكة كبيرة هائلة فى حلقات متعانقة من الفضة الخالصة ٠٠ عمرى كله انتظر هذا اللقاء ٠٠ تغنى بصوت فيه من الايقاع والنغمات ، أكثر مما فيه من حروف وكلمات ٠٠ تتجه اليه بالغناء ٠٠ هذا هو الجمال ٠٠ ترى لماذا خرجت من البحر ؟ ٠٠ وما الذى ستقوله له ؟!

توقفت عن الغناء ٠٠ اتجه ناحيتها بمزيج من الرغبة والخوف٠ ابتسمت له ونادت باسمه ٠٠ لا ٠٠ هذا ليس اسمه ٠٠ جحا ؟! ٠٠ هل تفعل مثلهم ؟٠٠ هل لو تكلم معها ستفهمه ٠٠ قال فى توسل : اسمى عبد الله ٠٠ لابد أنك قد سـمعت عنى ٠٠ عمرى كله قضيته فى البحر ٠٠ كانوا ينشـدون السمك ٠٠ وأنا كنت أبحث عنك ٠٠ لست مثلهم ٠٠ ما كنت أريد أخذك الى الشاطىء ٠٠ كنت أريد أن أنزل معك الى قاع البحر ٠٠ أعيش معك هناك٠٠هل ستأخذيننى معك الليلة ؟!

علت ضحكاتها ٠٠ سبح شعرها فى الليل ٠٠ اقترب منها أكثر ٠٠ دفعته بيديها فى رفق ٠٠ حينما أجفل مدت يدها لتربت

فوق رأسه فى حنان دافق ·· قال وكأنه يغوص معها فى أعماق البحـــر :

« نادنى باسمى ·· عبد الله » ·

قالت :

« عبـــد الله » ·

تشجع ليسالها :

« هل جئت استجابة لرجائى ·· هل خفق قلبك مثل قلبى ؟ ··

هزت رأسها بالموافقة · أحس بالخجل من التطلع الى صدرها العارى ·· خطر له الحل الأمثل · اندفع بالقول :

« هل تتزوجينى » ؟!

هزت رأسها ثانية بالموافقة · أمسكت يداه بيديها · تسربت عيناه الى نصفها غير البشرى · قال وهو يبتلع ريقه :

« هل ستجعليننى مثلك ·· أقصد ·· » ·

قاطعه لحن ضحكاتها · تسللت كلماتها الى صدره :

« أنت ستجىء معى » ·

اندفع بالسؤال :

« متى ؟ ·· الآن ؟ ·· أتمنى أن أعيش معك ·· هيا بنا » ·

مدت يديها لتعيده الى مكانه فى الزورق :

« لم يحن الموعد بعد » ·

فاضت دموعه :

« وهل ستذهبين ·· هل تتركيننى ؟ » ·

تمايلت كأنها ترقص ·· عاقتها الرمال من أن تجـوب فى المكان · قالت وهى تضع الحنان فوق رأسه :

« أمامنا متسع حتى مطلع الفجر » ·

لم يعد قادرا على التحكم فى دموعه :

« وبعد الفجر ترحلين ؟ ·· متى ستعودين ثانيـــة ... ؟ هل أراك الليلة القادمة ؟ ··

قالت وهى تحتضنه :

« أنا أزورك كل يوم ·· ولكنك لا تشعر بى » ·

قال فى رجفة :

« كيف » ؟!

هزت رأسها ليواصل شعرها سباحته فى الليل :

« أنا ذلك الطائر الأبيض ·· النورس الذى يلاحقك فى كل مكان كلما اقتربت من الشاطىء ·· أحوم حولك ·· ثم أعود طائرة الى الموج ·· ولكنك لاتشعر بى » ·

علا صوته فوضعت اصبعيها فوق شفتيه :

« بل كنت أشعر بك ·· كنت أعشـــق ذلك الطائر الأبيض قبل أن أعرف أنه أنت ·· سأنتظره ·· أقصد ·· سأنتظرك فى الصـــباح » ·

قالت فى ود :

« والآن أغمض عينيك حتى أستطيع العودة » ·

اندفع بالسؤال :

« متى يحين موعد زواجنا » ؟

اتجهت بنظراتها ناحية الأمواج الزاهية بضوء القمر :

« قلت لك لم يحن الموعد بعد ·· أغمض عينيك » !!

● ●

استبد بها القلق ·· فهو لايريد فراقها · ظل جالسا فى مقعده بجوارها دون أن يقول كلمة واحدة · اليوم يوم المفاجآت · فاجأته بالزيارة فى مكتبه ·· وفاجأته بدعوته الى شقة المعمورة ·· وفاجأته بعدم الذهاب الى البيت ليعيد طلب يدها من جديد · أمام صمته الطويل أدركت الى أى مدى قد جرحت مشاعره · كان من الممكن أن يثور فى وجهها · أن يوجه اليها الشتائم · أن يبادر بمغادرة سيارتها فى غضب ·· ولكنه لايزال على هذه الصورة ·· لايتكلم ·· لا ينظر ناحيتها ·· لايترك مكانه !

قالت بصعوبة :

« أنا آسفه » !

قال بعد لحظات صمت طويلة :

« اسمعى يا ملى ·· عارفه انتى ايه بالنسبة لى دلوقتى ·· مهمة صعبة ·· هدف من أهداف حياتى ·· وأنا ما اتعودتش التراجع قدام أى مهمه صعبة ·· أو انى أتخلى عن هدف مهم فى حياتى ·· أنا فاهم كل تصرف من تصرفاتك النهاردة ·· انتى سعيدة بأنك تكونى على طرف نقيض معايا ·· حتى الفنون والرسم ·· اوعك تكونى فاهمة انى موش عارف ·· عايزه تحطى كل اللى درستيه وراكى وتتجهى ناحية الرقص الشعبى ·· وده شىء عظيم ·· ممكن انك تصممى الملابس ·· ممكن انك تصممى الديكور ·· وممكن كمان انك تشتركى فى الاخراج ·· كل ده شئ عظيم ·· لكن مالوش دعوه بيـه ·· سألتينى اذا كنت باحبك ·· وأكدت لك حبى ·· طبعا كان لازم أسالك أنا كمان ·· لكن احنا موش فى حصة للدراما ·· كفاية سؤالك ·· هو السؤال كان عن ايه ·· هه ؟ ·· موش عن الحب ·· طب ليـه كنتى تسأليـه لو انك موش مهتمة بى ·· ايه اللى جابك الكلية ! ·· ليه أخدتينى معاكى المعمورة ·· ليه عرضت عليه انى أنفرد بيكى فى الشقة هناك ؟ ··

أسئلة مخلياني موش غضبان منك أو من تصرفاتك ·· وعلشان تستريحي أنـا حاسيبك دلوقتي ·· مافيش داعي لطلب خطبتك تاني ·· دايما حتلاقيني هنا أو في الأتيليه بتاعي ·· وحاكون دايما في انتظارك ·· مع السلامة » !

غادر السيارة وعلى شفتيه ابتسامة كالانتصار · اذا كانت تريد ممارسة « اللعبة » فهو على استعداد للتجاوب معها ·· مشكلته أنه يحبها بالفعل ، لذلك يجب عليه تطبيق قواعد اللعبة بحرص ·· لابد أن ينتصر باستمرار ·· لابد أن يحتفظ بخلايا مخه سليمة ·· أى خسارة تعنى فقدانها ·· ومن البداية وهو يسير فى الطريق المشروع ·· قال لها أحبك ·· قال لأسرتها أريد الزواج منها ·· باستمرار يجاهد فى أن يحافظ عليها ·· لايسبب لها أية متاعب ·· حتى فى هذه اللحظات التى يشعر فيها بأنه قد انتصر عليها ·· يشفق من احساسها بأية طعنة ·· يتمنى أن تنتقد هى ·· ولكن هذا هو المستحيل ·· انتصارها يعنى انطلاقها غير المحسوب فى ممارسة حرياتها ·· أليس هذا هو الحب » ؟!

فى طريق العودة كانت تردد جملة واحدة وهى تكاد تبكى :

« برضه موش موافقة » !!

- ٨ -

جاء وحده ٠٠ لابد أن رجاله يملأون منطقة بحرى كلها ٠٠
اتسعت ابتسامتها وهى تستقبله عنـــد البـاب الفتوح ٠ تأنقه البالغ لايخفى تقدم العمر به ٠ حلق شاربه أو لعلها توهمت ذلك ٠٠ تبادلا كلمـــات التحية والترحيب دون حروف محددة واضحة ٠ هى تشير له الى المكان الذى يجلس فيه ٠٠ وهو يشير لها بأنها يجب أن تجلس قبله ٠ بدأت الطقوس المتفق عليها ٠٠ لايظهر الا واحد من « الجمع » ٠٠ فاذا فعل ، أو فعلت ، المكلف به ٠٠ اختفى ، أو اختفت ، حتى يظهر الآخر ٠ سألته عن أحواله وعن أعماله ٠٠ وسألها عن أعمالها وعن أحوالهـا ٠٠ كان يجيب ٠٠ وكانت تجيب ٠٠ ووجدان كل منهما وراء البحار ٠٠

« واضح أنها أعدت كل شيء لتكون وحـدها معى ٠٠ لا أرى أحدا من الأسرة ٠٠ لا أختها المتعلمة « منى » ٠٠ ولا أخاها « عزمى » ضابط المستقبل فى البحرية ٠٠ حتى خالها « جحا » غير موجود ٠٠ ما هى الحكاية ؟ ٠٠ يبدو أنك ستفوز بكل شيء يا سعد الله ٠٠ الجمال والمال ٠٠ لا أعرف من صـــاحب الاشاعة ؟ ٠٠ هل أكون أنا فى لحظة من لحظـــات التجلى فى كهف « كفر عشرى » ؟ ٠٠ ربما ٠٠ هل تكون فى ليلة من ليالى « الرتسينا » عند « على كيفك »؟٠٠ ربما٠٠ولكنه يقسم أنه وهو فى وعيه لم يفكر فى مثل هذا الزواج ٠٠ أروع له أن تكون له بدون زواج ٠٠ هذا هو « سـعد الله »

الحقيقي ٠٠ من يعرف ماذا يحدث لى لو تزوجتها حقيقة ؟ ٠٠ انها بارعة فى أن تصبح أرملة فى أقصر وقت ممكن ٠٠ ومن يعرف ٠٠ فربما تكون هى صاحبة الاشاعة ٠٠ بضاعتها وردت اليها ٠٠ ولذلك سارعت بدعوته على العشاء ٠٠ حفل من نوع غريب لا يتواجد فيه أحد غيرهما ٠٠ يجب أن تعترف يا سعد الله أنها تحفة بيضاء ٠٠. لا أعرف الدخول فى التفاصيل ٠٠ ولكن يكفينى هذا الصدر العظيم ، وتلك الساقان « الصب » ٠٠ هل من أجلهما هلك « البحراوى » ، وهلك بعده « كباره » ٠٠ يارب اجعل كلامنا خفيف ٠٠ لم أكن أعرف أنها « لونة » الى هذا الحد ٠٠ كل حركة منها كأنها دعوة صريحة الى لَيلة لاتنتهى الا فى الظهيرة ٠٠ لن أفتح الموضوع ٠٠ لو قلت موافقة كان بها ٠٠ وكل شيء فيك الآن يقول انك بالبنط العريض ٠٠ موافقة » !

قالت له بعد أن انتهى من احتساء القهوة :

« تحب أشوف بختك » ؟

لم تنتظر اجابته ٠ قلبت الفنجان وانتظرت قليلا وعدلته ٠٠ تهادت كلماتها فأصبحت كالهمس ٠ لم يكن يعرف اذا ماكانت تتوجه اليه بالحديث ٠٠ أم انها تحدث نفسها ٠٠ اشتعل جسده ولكنه حاول أن يتماسك ٠٠ ليس هنا المكان المناسب ، وربما كانت مصيدة لتصبح فضيحته بجلاجل ٠ اقترب منها بقدر كاف حتى يستطيع تبين ماتقوله :

« ناس كتير وراك ٠٠ هاجمين عليك ٠٠ موش عارفه عايزين منك ايه ؟٠٠ انت لك أعداء ٠٠ ياه ٠٠ ماتتكلمش ٠٠ أنا شايفاهم ٠٠ بس انت حتقدر عليهم ٠٠ دبور وزن على خراب عشه ٠٠ موش انت ٠٠ ده واحد منهم ٠٠ واحد طويل وعريض وشنبه مبروم ٠٠ تعالى ٠٠ قرب ٠٠ شوف ٠٠ النصرة جاية من هناك أهه ٠٠ واحدة

زى القمر ·· الله يخليك ·· انت موش أول بختها ·· اســـتنى شوية ·· موش أنا ·· تعــرف ·· دى زى ماتكون ناويه لك على نيه ·· يوه ·· جتك ايه يادى البنية ·· لازم تفتح عينيك كويس ·· والله أنا خايفه عليك ·· خايفه وموش خايفه ·· استنى شويه قلتلك ·· أنا حاخليهم يعملولك فنجان قهوة تانى ·· الفنجان ده موش كفاية ·· أنا موش مستريحه له ·· حالا وحيكون الفنجان بين ايديك ·· أهه ·· اشرب ·· ماتشرب ·· أنا مستنية علشان أقلبه وأعدله تانى ·· اشرب » !!

انكمش فى جلسته · انهـا حتى الآن لم تقل له اذا كانت موافقة ·· أو غير موافقة ؟!

احتفظت برأيها ، وبكلمتها ، لحين يعلن رغبته فى الرحيل !!

- ٩ -

هذا المكان لا يعرفه الا الذين يتعاملون مع سفن « الكارجو » التى تختلف كثيرا عن سفن الركاب · مهمتها البضائع فقط ·· والبضائع مهمة هؤلاء الرجال الذين يسكن معظمهم فى الحى الصغير القابع فى الركن الشرقى للميناء ·· بعد « باب ١٤ » ·· وتتلوى فيه الأزقة ومعها البيوت القديمة ، والمنحنيات الغامضة التى يطلقون عليها « الكهوف » ·· ويطلقون على الحى نفسه اسم « كفر عشرى » ·· الحى يكاد يكون فى عزلة عن بقية المدينة ·· يخرج بعض أبنائه للسكنى فى المناطق الجديدة ·· ونادرا ما يفكر أحد فى دخول « كفر عشرى » ·· فالخارج منه مولود ، والداخل بالطبع مفقود !

فى « كفر عشرى » مملكة ورعايا « سعد الله » ·· ولولا الملاحة لأطلقوا على الحى اسـم « كفر سعد الله » ·· خاصة بعد أن ورث « عشرى » فى كل شىء !

فى تلك الليلة جاء « سعد الله » وكأنه قد فتح « عكا » ··

يردد الجميع أن من حقهم الاحتفال أربعين ليلة بعد أن دانت « بحرى » ومعها « رأس التين » لهم ·· وتخطوا الشائعـات الى الحكايات ، وكيف أن زين الرجال حصل على كل شىء بخبطة واحدة ، لابد له من بعدها خبطات ، وخبطات ··

يهولون فى الكلام ، وهو يكتفى بضحك المنتصرين دون أن يقول تلك مبالغة ، وهذا لم يحدث ، أو يكذب من يقول ان « أحلام » بجلالة قدرها توسلت اليه أن يسارع بالزواج منها ، لأنها لن تجد غيره يحميها ، ويحمى كل ما تمتلكه فى الاسكندرية كلها ·· ويكتفى طول الوقت بتقريب رأسه من الذين يعتبرهم أكثر المخلصين له ، ليهمس لهم بالأسرار التى يجب ألا يسمعها غيرهم ··

كل نساء الأرض فى ناحيـة و « أحلام » فى ناحيـة ·· هى سيدة الكل بدون نزاع ·· جمالها ربانى ، وسحرها طليانى ، وكيانها « آه يانى » ! ·· ولولا الملامة لطواها تحت جناحيه قبل أن يغادر بيتها · تراقصت ، ولانت ، واستسلمت ، وكانت الدعوة مفتوحة ، والاشـــارة خضراء ، وقال كلمته : « موافقة يا بنت الناس ؟ » ·· وأجابت وهى ترمى نفسها فوقه : « موافقة يا سيد الرجال » !

وعندما سأله أحدهم :

« ومتى الليلة الكبيرة » ؟

أحس كأنه دلق جردل مياه فوق رأسه :

« أنا موش مســـتعجل » !

أفاق بينه وبين نفســـه ·· لا هانت ، ولا استسلمت ·· ألبستنى العمة وأنا من يقولون عنه « يلعب بالبيضة والحجر » ·· طالت الليلة ولم تقل كلمة واحدة ·· لم يفتح هو الموضوع ، ولم تفتحه هى ·· أخذته شرقا وغربا ، ولعبت معه لعبة « الفنجان » ليرى « الدبور الذى زن على خراب عشه » ·· أحلام ليست سهلة يا صحاب ·· لا أعرف اذا ما كنتم أنتم الذين ورطتمونى أم أنا الذى ورطت نفسى ·· رغم أن كل حركة من حركاتها كانت تقول : نعم ·· كان شىء غامض فى عينيها ، وآه منهما ، يقول : لا ·· وألف لا ·· أنا ابن سوق وأعرف المشترى من البائع ·· هى تريدها لعبة طويلة

الأجل ·· وأنا « اندلقت » من أول لعبة ·· صدقونى ·· هى ليست هينة ·· ليست مثل الباقيات ·· فكيف يحتفلون ، وكيف أحتفل ؟ ·· ولكن ·· ما المانع ·· احتفلوا كما تشاءون ·· وقولوا ما تريدون ·· وليتكم ما تعرفون ، أو تفهمون ·· » !

قال أحدهم وهو يشـــد الغاب حتى أوشـــك أن يبتلعه فى حلقه :

« مين عارف ·· يمكن نبقى أنا وانت عدايل » !

انتفض « سعد الله » كمن قرصه عقرب :

« ازاى بقى يا جربان انت » ؟!

أخرج الرجل الغاب من حلقه ، وقال وهو ينفث الدخان فى حلقات :

« هى موش لها أخت » ؟!

وجم الرجال لارتفاع صوته المفاجىء :

« دى خلصت جامعة يا جربان » ·

رد الرجل فى زوبعة من الخوف :

« وأنا برضه معايا نصف أرنب » ·

واصل « سعد الله » غضبه ، وقام ليركل الرجل فى عنف :

« طب قوم من هنا انت والأرنب بتاعك ·· قوم » !!

● ●

كان « عزمى » يجمع حاجياته داخل الحقيبة التى سيأخذها معه الى الكلية ·· انتهت الأجازة ·· وعليه العودة قبل هبوط الليل ·· كما جاء مسرعا ·· يغادر البيت هاربا ·· لا فائدة ·· وقفت فى طريقه :

واحد طلب ايدى ··

رد فى عدم اكتراث :

« مبروك » !

ارتجفت من الغيظ :

« طب موش تقول مين ؟ ‥ وبيشتغل ايه » ؟!

طوح حقيبته وراء ظهره ليقول :

« المهم رأيك انت » !

لم يتوقف غيظها . تمنت لو صفعته فوق وجهه . تماسكت :

« معاك حق ‥ مع السلامة » !

تلكأ على غير عادته . اقترب منها فجأة :

« بالمناسبة بقى ‥ عندى خبر حتفرحى قوى لما تسمعيه » .

هزت رأسها لتتأكد أنها تسمع أخاها « عزمى » وليست انسانا آخر . رمت نفسها فوق أقرب مقعد ، وشدته ليجلس هو الآخر . اندفعت بالقول :

« عرفت ‥ حتطلع بعثة ‥ موش كده » ؟

سعد لسعادتها . قال وهو يتلفت حوله كمن يبحث عن شخص معين ، فهمت « أحلام » ما يقصده . قالت فى نفاد صبر :

« منى خرجت ‥ قول بقى ‥ ايه هو الخبر ؟ » .

انتصب واقفا وكأنه يؤدى أمر الانتباه :

« أخوكى حيخطب ‥ مجرد خطوبة ‥ والجواز بعد التخرج ‥ ايه رأيك بقى » ؟

قامت هى الأخرى وسألته فى فرح غامر :

« يا ألف مبروك ·· ومين هي ؟ ·· واسمها ايه ·· خليني أنا أعرف الأصـــول ·· موش زيك ماأســألش ·· وماأقولش غير مبروك » !

علت ضحكاته :

« ايه ده كله ؟ ·· اسمعي ياستي ·· هي أخت واحد زميلي في الكلية ·· وطالبة في كلية الآداب قسم فرنسي ·· واسمها مروة ·· وكنت معزوم امبارح عندهم على العشا ·· بيتهم في زيزنيا ·· والاستلطاف بيننا من زمـــان ·· قوليلي بقى ·· مين هو ؟ ·· واسمه ايه » ؟!

قالت وهي تجلس ثانية :

« موش مهم أنا دلوقتي ·· الحكاية موش جد ·· أنا موش موافقة ·· ياترى ·· ياترى مروة حلوة » ؟!

قال وهو يكاد يتراقص :

« الا حلوه ·· حلوه وحلوه ·· أنا مستوى اخواتي الاتنين عشرة على عشرة ·· وخطيبتي موش لازم تقل عن كده ·· حتشوفيها ·· حاعزمها هنا هي وأخوها رشدي ·· نخلي الحكاية قراية الفاتحة ·· والخطوبة الرسمي بعدين ·· ايه رأيك » ؟

احتجت:

« قبل العزومة ·· لازم نزورهم في بيتهم ·· نروح أنا ومني وخالي و ·· » ·

قاطعهـــا :

« بلاش خالي ·· قصدي ·· بلاش نروح دلوقتي ·· بعد اذنك ·· أنا ماشي » !

فهمت ما يقصـــده ٠٠ هل سيصبح خالهـا « عبد الله » مشكلة ؟ ٠٠ أم بداية المشاكل ؟!

لن تجادل ، ولن تكابر ٠٠ منى اختها وأخوها عزمى هما الدنيا كلها بالنسبة لها !

- ١٠ -

بعد تفكير طويل ، اسـتقرت لأن تطلبه بالتليفون ·· هل سيوافق على مقابلتها ؟ ·· فى آخر لقاء حاول أن يغالب غضبه ، قال ما فهمت منه أنه يعرف كل صغيرة وكبيرة فى حياتها · كيف عرف حكاية فرقة الفنون الشعبية ؟ ·· هل تراها .« أحلام » التى أخبرته ؟ ·· ولكن يجب أن تعترف بأن ورطته عندما عرضت عليه الصعود الى شقة « المعمورة » كان كالطفل الصغير الذى نبت شاربه فجأة ·· ما أدراه أن اللقاء لن يكون بريئا ؟ ·· هل يخاف منى ؟·· اعترف بأن له مغـامرات وأنا أعرف صاحباتها بالاسم · ورفضه الانفراد بى يجب أن يحسب له · فى السنة الأولى بالكلية ، وكان معيدا ، كنت أحلم بأن ينتبه لى ·· مارست الحركات اياها حتى ألفت نظره ، وأعتقد انى نجحت ، ولكنه لم يتسرع · ظل يعاملنى بحرص ، وان كان يقدم على اظهار ما يؤكد نجوميته ·· يحمل دائما الجريدة أو المجلة التى تنشر صورته وتتكلم عن أعماله الفنية · يفعل المستحيل حتى تصل الى يدى بطاقات الدعوة الى المعارض والمؤتمرات التى يشارك فيها · وقبل أن يزيد من تقربه منى ·· ذهب الى البيت ·· وطلبنى للزواج !

ما هى المشكلة ؟ ·· ماذا تريد ؟ ·· هل هى موافقة على عرضه ؟ هل تحبه ؟ ·· فى الحقيقة هى تعيش حيرة كبيرة ·· كل من يعرفها يقول انها انسانة فوضوية تأخذ الحياة مأخذ اللعب ·

لا تكترث بالتقاليد . بل ويقول انها لا تجد من يحكمها .. وهذا ظلم كبير..هذا الذى يعرفنى ألا يعرف أننى أنهيت دراستى بالكلية وبتفوق ؟ .. ألا يعرف أننى مشغولة ليل نهار فى نوعية العمل الذى أشتغل به . هل يعتقد أننى سأركن الى ثراء أختى ؟ .. لو كان الأمر كذلك .. ما تعلمت ، وما حاولت ، وهذا هو الأهم ، أن أبحث عن ذاتى .. أن أكون أنا كما أريد .. كل ما فى الأمر أنه يغالبنى احساس قوى بأن الزواج هو نهاية كل شىء .. عادل مرسى ليس فيه ما يعيبه الا كونه عادل مرسى .. النجم الشهير .. فهل ينتهى بها المطاف لأن تكون فقط زوجة لهذا الانسان .. انها لابد وأن تصبح شهيرة مثله .. نجمة مثله .. لذلك تزاحمت المشاريع فى رأسها .. ولو ساعدها على تحقيق أحدها .. أو أرشدها الى الطريق السليم الذى تصبح فيه كما تتمنى ، وكما تريد .. فلن تكون هناك أية مشكلة .. ستقبل أن تتزوجه !

أدارت قرص التليفون . رد عليها . اتفقت معه على موعد للقاء فى « تريانون » محطة الرمل . تم كل شىء فى دقيقة واحدة . لم يتردد ، ولم يكن غاضبا . من الحكمة أن تصارحه بكل ما يدور بأعماقها فى هذا اللقاء .. لا تكذب ، ولا تبدى غير ما تريده فعلا .. فهل تســـتطيع ؟!!

قبل أن تستعد لارتداء ملابس الخروج دخلت عليها « أحلام » .. قالت بعد أن قبلت جبينها :

« كويس انك هنا .. عرفتى آخر الأخبار .. ؟ » .

ردت « منى » وهى تغالب ضحكاتها :

« خطوبتك بقى .. ولا خطوبة عزمى ؟ » .

قالت « أحلام » فى ذهول :

« وأنا اللى بأقول انك فاقدة الوعى .. عرفتى ازاى » ؟

قالت وهى مشغولة باعداد ما سترتديه :

« حكايتك أولا كانت واضحة من اللى حصل فى البيت ·· وحكاية أخونا عزمى هو كلمنى عنها من زمان ·· ويمكن أتقابل مع مروة قريب · اسمها مروة ·· موش كده » ؟

قاومت « أحلام » أن تخنقها مداعبة :

« وطبعا انتى نازلة علشان تقابليه ·· وأهى خطوبة كمان » !

سقط الفستان من بين يديها :

« هو أنتى عارفه » ؟!!

قالت وهى تغادر الحجرة :

« علشان نبقى خالصين » !!

أحست أنها تريد أن تكون فى أحسن صورة من أجل هـذا اللقاء · استقرت بعد تردد على لون الفستان · عادل مرسى لعبته الألوان ·· وان كان يفضل الأزرق ·

هل تعترف أنها بدأت تحبه ؟!

● ●

أين « ابنة أخته » عروس البحر ·· ليحكى لها عن عروس البحر ؟!

تحقق حلمه وجاءت لزيارته ·· أمضت معه ليلة كاملة وحتى مطلع الفجر · وفى الصباح عادت اليه ثانية بيضاء ·· زاهية ·· بجناحى النورس !

شعرها يسبح فى الليل ·· وجناحاها يحلقان فى النهار ·· كلماتها أنغام ·· ضحكاتها ألحان ·· وافقت أن تأخذه معها الى أعماق البحر ·· تحت الأمواج ·· طلبت منه الانتظار ·· فالموعد لم يحن بعد !

لن يحدث أحدا عن ذلك اللقاء غير ابنة أخته · الناس لا يريدون

من البحر الى الرزق ‥ والسـمك ‥ وقف وسـط الميدان أمام « المرسى أبو العباس » وقريبا من « الأباصيرى » ‥ وحينما رأى ارتباك مرور السيارات ‥ قرر استخدام يديه فى تنظيمه حتى يفرغ بعد ذلك لما يجب أن يقوله للناس ، وأن يواصل بحثه الصعب عن بادرة الشجاعة !

فى لحظات خاطفة كانوا يقتادونه الى قسم الشرطة ‥ لم يعترض وان لم تتوقف خطبته ‥ طلب ضابط القسم أن يتركوه فى صحبته . هذه ليست أول مرة يأتون به فيها الى هنا . ليس اسمه « جحا » كما يقول الأهالى ‥ اسمه « عبد الله محمد عبد الله » ‥ وعليه الآن – مثل كل مرة – أن يتصل بابنة أخته صاحبة الأعمال الشهيرة . وعليه أن يجعلها تكتب تعهدا بعدم تكرار تجوال خالها فى الشوارع ، وتعطيل المرور ، والسب العلنى لكل من فى السـلطة !

فور أن جلس الى جوارها فى السيارة اندفع بالقول :

« رأيتها يا أحلام ‥ عروس البحر الأصـلية ‥ جاءت لزيارتى » .

قاطعته فى ود :

« امتى بقى حتبعد عن الحكاية دى ؟ » .

قال كأنه لم يسمعها :

« بأقول عروس البحر زارتنى ‥ كانت ‥ » .

قاطعته فى شىء من الغضب :

« موش وقته دلوقتى ‥ ايه رأيك تقعد معايا فى المكتب ؟ » .

واصل عدم سماعها :

« حلوة زيك ‥ لكن نصها التحتانى ‥ لامؤاخذه يعنى ‥

زى ما تقولى كده سمكة كبيرة ·· من نوع ماحدش شافه قبل كده ·· نـــوع ·· » ·

قاطعته بضحكاتها التى تعالت رغما عنها · لا فائدة من الخال « عبد الله » ·· سيبقى كما هو ·· فى البيت ·· وفى الطريق ·· وفى الزورق ·· وعند شاطىء البحر كيف تطالبه بأن يصبح موظفا بعد أن هجر كل شىء ؟ ·· وبعد أن زهد كل شىء ؟ شهور طويلة وهى تغريه بشتى الوسائل ·· أغدقت عليه أكثر مما تفعل مع أختها ، ومع أخيها ·· ولكنه كان يترك كل شىء ·· ليمضى فيما هو عليه ·· ويقتادوه مرة بعد مرة الى قسم الشرطة · عزمى لمح آخر مرة أنه لا يريد خاله فى مشروع زواجه ·· هل تراه يخاف منه أم يحس بالعار من ناحيته ؟ ·· ومنى ؟ ·· هل تنتظر حتى تلمح هى الأخرى بالواقع الذى وصل اليه الخال ؟!

غمرها الشعور بأنها أثقلت عليه ، ولم ترحه كعادتها معه دائما ·· هذا هو الانسان الوحيد فى العالم الذى لا يطمع فيما تملكه ·· كأنه أمها ·· كأنه أبوها ·· ورغم ذلك فهو مشكلتها الحقيقية للأيام القادمة ·· ماذا سيقول أهل « مروة » الذين يســـكنون « زيزنيا » عنه ؟ ·· وماذا سيقول « عادل مربى » ؟ ·· وهل يخشاه « سعد الله » ؟!

نظرت اليه فى ود فانطلق يقول ما يشاء ·· هذا حلم جديد من أحلامه ·· لا تكفيه أحلام عروس البحر ·· انما يريد تعديل مسار أحلام الناس فوق الأرض ·

فاجأته بالسؤال :

« وكلمتك ·· قالت لك ايه » ؟

زام وقال فى أسى :

« قالت لى لسة الميعاد ماجاش » ·

سألت فى شىء من الخوف :

« ميعاد ايه » ؟!

زفر من جديد :

« أروح معاها جوه ٠٠ فى عرض البحر » !

ران الصمت ٠ هل يفعلها خالها ويرحل عنها كما رحل أبوها وأمها ؟ ٠٠ هى السبب ٠٠ شجعته دائما على حكاية عروس البحر ٠٠ هى مثله٠٠تشاركه أحلام أن تكون هى نفسها عروس البحر ٠٠ أى مأزق ٠٠ » ؟!

لا يكف أبدا عن ترديد الحكاية :

صدقينى ٠٠ هى النـــورس بالنهار ٠٠ وهى عروس البحر فى الليل !

- ١١ -

اختلطت الأصوات فى بار « العطارين » ·· كانت الغلبة فى البداية لرجال « سعد الله » · يتصايحون · يتبادلون الأنخاب ·· ثم تغير كل شىء عندما هجم على البار مجموعة جديدة عليه · حتى الجرسون « ألمنيوم » استنكر قدومهم ، وأسرع ناحية « صافى » الواقف خلف البار ليقول له بصوت يسمعه وحده :

« الصنف بشوكه » ·

تعامل معهم بعد ذلك بحذر · وأحس رجال « سعد الله » بالخطر ، وانطلق الكثير منهم يضحك فى هيستيريا متواصلة دون أى سبب ظاهر لذلك ·· فوجىء « ألمنيوم » بواحد من الوافدين الأغراب يسـأله :

« مافيش هنا واحدة ترقص ·· أو حتى تغنى » ؟

رد وهو يتعجل الانصراف :

« لامؤاخذة ·· الكلام ده كان زمان ·· تقدر انت تغنى زى ما أنت عايز » !

كأنه كان ينتظر مثل هذا الرد ·· أمسك به بكلتا يديه وألقى به فوق الجالسين حول المائدة المجاورة · وتعالى صوته يحذر أى شخص من الاقتراب منه · وفى لمح البصر اشتبك الجميع فى تبادل الكلمات والركلات ·· وأسرع « ألمنيوم » الى الطريق يسـتنجد

بالشرطة ·· وقبل أن يجد أحدا منهم كان البار بكل ما فيه ، وبكل من فيه ساحة معركة هائلة فى مكان يختنق بالجميع ··

فات وقت طويل قبل أن يجيء رجال الشرطة · وقبل نقل من أصيب الى المستشفى « الأميرى » ، وقبل القبض على عدد من الرجال كل منهم يتهم الآخر ، وكل منهم لا يعرف سبب هذه الموقعة ··

قال واحد من رجال « سعد الله » من تحت الأربطة الطبية :

ناس بنشوفوهم لأول مرة ·· موش عارفين منين !

يرد عليه آخر من السرير المجاور :

« أفتكر دول من بحرى ·· لكن ·· مين ؟ ·· ماأعرفش ·· ومين اللى بعتهم ؟ ·· ما أعرفش » ·

ويســـأله :

« لكن بيقولوا الحكاية بقت سمن على عسل مع بحرى » ·

يطلق صيحة ألم قبل أن يرد :

« ما احنا كنا فاكرين كده ·· لكن الظاهر ان الحكاية غير كده خالص ·· معقول تكون هى اللى بعتاهم » ·

يعاود افتراضـــه :

« ليه لأ ·· الناس كلها بيقولوا دى موش سهلة ·· دوبت اتنين معلمين كبار »

يقول فى استغراب :

« دى تبقى حكاية ·· ياترى « سعد الله » حيعمل ايه » ؟

يهز رأسه بعدم الفائدة :

« ولا حيعمل حاجة ·· ما وقع فى شباكها خلاص ·· ده بتاع بضايع ·· موش صياد » !

توالت الكلمات ، والتعليقات الساخرة ·· وشملت الصحاب في كل الحي ··

كانوا كأنما يبحثون عن بطل آخر !!

لم تجد خالها في « الزورق » ·· أين ذهب ؟ ·· تخلصت من « الجمع » ومن السيارة ·· وسارت ناحية قلعة « قايتباي » · المدخل مغلق · دارت حول الصخور العالية لتصل الى الحافة المطلة على البحر · فات وقت طويل دون تفكر في « أحلام » ·· في نفسها ·· يأتيها رذاذ الموج الصاخب فتشعر بالانتعاش ·· هي بحاجة شديدة الى ما هو جديد في حياتها ·· لا تعنيها حكاية « سعد الله » ·· ولا كل المتاعب التي تواجهها في السوق · تلك طبيعة مثل هذا العمل ·· وطبيعة السلطان أيضا !

المشكلة الحقيقية هي ركب الهاربين الذي تواكبه ·· مني تهرب ·· عزمي يهرب ·· حتى خالها عبد الله يهرب ·· فرضت عليه رقابة محكمة حتى لا ينطلق في الشوارع ويقول ما يقوله ، ويفعل ما يفعل ·· ولكنه رغم تلك الرقابة ، ورغم تحذيرها له ·· هرب ·· اختفى ·· لماذا يفعلون معها ذلك ؟

انها معهم على خلاف ما تتعامل به مع كل الناس ·· تعرف أن اغداق الأموال ليس كل شيء ·· ولكنها على طبيعتها القديمة معهم تماما ·· تترك كل منهم يتصرف على سجيته ·· لا تتدخل في شئونه الخاصة ·· تتمنى أن يفتح لها قلبه ·· كما تفتح هي قلبها لهم جميعا ·· ورغم ذلك فكل منهم ينوى الهرب !

هل هناك خطأ لا تعرفه ؟!

هاجمتها أطراف موجة عالية ·· لم تتحرك من مكانها ـ ماذا لو نفذت الفكرة التي أوحت لها بها « مني » ذات يوم ؟ ·· تركب سفينة تطوف بها بحار العالم ·· طوال عمرها لم تغادر الاسكندرية ·· حتى القاهرة لم تذهب اليها الا مرتين ·· مرة مع الزواج الأول ·· ومرة مع الزواج الثاني ·· والمرتان كانتا من أجل الفسحة !

هل تقوم بهذه الرحلة ؟

ومن الذى يتولى شئون ذلك « الهيلمان » أثناء غيابها ؟

كاذبة لو قالت انها غير سعيدة بذلك « الهيلمان » ·· نعمة من السماء يجب أن تحمد الله عليها ·· وكاذبة لو قالت انها تود أن تستمر بها الحياة دون أن ··

هزت رأسها كمن تقاطع نفسها ·· هذا هو الخطر الحقيقى الذى تهرب منه هى الأخرى ·· هى أيضا هاربة ·· هاربة من أن تصبح أما ·· أن يملأ أحشاءها ووجدانها ذلك الطفل الذى لن تدعه أبدا يهرب منها ·· ولكن ·· كيف ؟!

ما هو السبيل ؟ ·· ما هو الحل ؟!

- ١٢ -

جاء دون دعوة ·· ولكن مجيئه لم يكن مفاجأة لها ··

من حقه ، كما يقول ، أن يشرب القهوة ، وأن يعرف بخته ، وأن يسمع الجواب !

تختلف الطقوس هذه المرة · ولا تعرف ما اذا كان من حسن أو سوء حظه وجود « منى » بالبيت · جلست « منى » معهما فى الصالون الرئيسى واكتفت بالابتسام عديم الألوان كلما توجه اليها « سعد الله » بالتحية · كارثة لو كان هذا هو الزوج الثالث لأختها « أحلام » · فكرت فى أن تورطه ــ كعادتها ــ بالأسئلة ·· مثل ·· عدد المرات التى تزوج فيها ·· ومثل ·· هل عنده خبرة فى صيد وتجارة الأسماك ؟ ·· ولكنها أدركت أن « أحلام » كفيلة بهذا التوريط · انسحبت فى النهاية بحجة وجود ما يشغلها · فوجئت قبل مغادرة الصالون بسؤال سعد الله :

« أستاذة منى ·· عملتى ايه فى حكاية فرقة الرقص » ؟!

كادت « منى » أن تقع على الأرض · توقفت مكانها بصعوبة بالغة كالتمثال · حاولت « أحلام » التدخل · ولكنها اندفعت قائلة وهى تقترب منه :

« عندك اقتراحات ·· » ؟!

من فهمهما لأختها بادرت بالتدخل :

طبعا دى حكاية معروفة ·· والفرقة زى ما الكل عارف عشان الفنون الشعبية · زى فرقة رضا مثلا ·· وأختى منى دارسة الفنون والديكور ·· طبعا انت عارف الديكور ·· والفرقة لسة ··

قاطعتها منى فى غضب ظاهر :

« يبدو ان حضرتك عارف كل حاجة ·· وبالمناسبة أنا وافقت على الخطوبة ·· والحكاية دى لحد دلوقتى مافيش حد يعرفها غيرى أنا وخطيبى الأستاذ عادل مرسى ·· حتى أختى أحلام ماتعرفش ·· بأقولك كده عشان ماتفكرش فى عريس عشانى » !

قال ببرود فائق :

« هو فعلا كان فيه عريس ·· لكن فات الأوان بقى ·· وبالنسبة للفرقة ·· أنا عندى المكان ·· صالة كبيرة فى شارع « السلطان حسين » فى وسط البلد ·· قريبة من شارع « النبى دانيال » ·· وكنت بأجرها للأفراح ·· لكن بعد كده حتكون تحت أمرك » !

حاولت أن ترد بنفس بروده قبل أن تنطلق بعيدا عنه :

« ده عرض جميل ·· لكن فكرة الفرقة لسة مااكتملتش ·· وساعتها حاشوف الصالة بتاعتك تنفع ·· ولا ·· لأ ·· بعد اذنك » !

تجاهل اللطمة ، توجه بالكلام الى أحلام :

« القهوة اتأخرت ·· عايز أشوف بختى » ·

اندفعت أحـــلام :

« عايز تشوف بختك ·· ولا تعرف جوابى » ؟!

تلكأ فى الجواب ·· يبدو أنه قادم الليلة للاستفزاز · ترى ماذا داخله غير الاشاعة مجهولة المصدر ؟ ·· هل يشغله ما حدث

في « العطارين » ؟ ‧‧ هل وصلته الرسالة ؟ ‧‧ حان الوقت لكى تلاعبه على المكشوف ‧‧ « دوجو‧‧ دوجو » كما يقول الذين يلعبون « البوكر » ‧‧ كل الورق مكشوف ماعدا ورقة واحدة ‧‧ المخاطرة تجعل كل شيء على كف عفريت ‧ قالت وكأنها تذكرت جلوسه أمامها :

« يعنى ماردتش على سؤالى » ؟

يمارس برود الأعصاب على غير ما هو مشهور به :

« الاتنين » !

أزاحت خصلة الشعر التى تهدلت فوق جبينها :

« القهوة جايه حالا ‧‧ وجوابى ‧‧ جوابى لا هو رفض ‧‧ ولا هو قبول ‧‧ شوف بقى النهاردة كام فى الشهر ‧‧ أهو زى النهاردة بعد سنة ‧‧ حتعرف جوابى النهائى ‧‧ ايه رأيك ؟! ‧‧ أهى الأيام بتجرى ‧‧ وسنة واحدة موش كتير ‧‧ واحنا برضه مقلناش لأ ‧‧ » !

ذاب جليده ، ليسيل العرق فوق جبهته اللامعة :

« عداكى العيب ‧‧ فعلا ‧‧ ماقلتيش لأ ‧‧ لكن برضه ماقلتيش آه ‧‧ » !

انفجرت ضاحكة بكل الدلال :

« آه ‧‧ » !

هب واقفا ‧ لم ينتظر القهوة ‧‧ نسى حكاية البخت ‧ تظاهرت بأنها تريده أن يبقى مدة أطول ، وان كانت خطواتها تسبقه ناحية المدخل ‧ قالت له عند باب الخروج :

« خليك فاكر ‧‧ زى النهاردة ‧‧ بعد سنة » !

- ١٣ -

على قدر ما تصورت لقاء « المعمورة » ذلك اليوم هو النهاية ٠٠ بقدر ما يغلبها الاقتناع الآن ٠٠ أنه البداية !

ويجب أن تعترف أنها ذاهبة للقـــاء « محطة الرمل » وهى مختلفة تماما ٠٠ ان لم يكن ذلك الاختلاف فى أعماقها ٠٠ فقد أعلنته ٠٠ هى خطيبة « عادل مرسى » قبل أن يعرف هو نفسه أنها قد قبلت خطبته !

الشعر كما يفضله مرفوع فوق الرأس ، والفستان باللون الملكى الأزرق الذى يحبه ٠٠ هى كما يريد ٠٠ عاندت فى تقبل عواطفه ، ولاختيـــاره ٠٠ وللعجب ٠٠ أقصر الطرق وهو ما كانت تسعد له أى فتاة أخرى ٠٠ حينما تسأل فى استعطاف : « متى ستأتى لزيارة العائلة ؟ ٠٠ » ٠٠ جاء بنفسه للعائلة ، ورفضته ، وكذبت أنها ستنتظر فرجا يظهر غيره وتـــكون أمامها فرصـــة الاختيار ٠٠ هل تـــكون قد اختارته ، واستقرت عليه دون علم عقلهـــا ؟!

حين التقت به ، وجلست أمامه كانت كل اشاراتها خضراء ٠٠ مسموح بكل شىء ٠٠ الموافقة على كل رأى ٠٠ الابتسامة لكل حكاية ٠٠ أليس هذا هو الحب ؟!

امتدح جمالها ٠ قال لها انه رسم « بورتريه » لها من الذاكرة

موجود الآن فى مرسمه « بالأزاريطة » ·· ولن يسمح لها بأن تراه الا بعد اتمام الخطوبة !

سألته وهى ترتشف عصير الليمون الشراب المفضل لكل الذين يلتقون فى الأماكن العامة :

« عرفت ازاى انى وافقت » ؟

قال وكأنه كان يتوقع السؤال :

« الظاهر ان ذاكرتك ضعيفة · آخر مرة التقينا فيها قلت لك انى حكون فى انتظارك ·· وكونك اتصلت يعنى موافقة ·· ناقص بقى انى أعترف لك » !

ضحكت فى ثقة :

« عارفــه » ·

فوجئت بما يقوله :

« لأ موش عارفه ·· مافيش حد يعرف » !

بدأ يغالبها القلق · نظرت اليه فى فضول دون أن تقول كلمة واحدة · رأته مشدود الملامح كما لم يكن فى بداية اللقاء · التقت عيناها بعينيه لتتعجل ذلك الذى لا تعرفه · سحب عينيه بعيدا عنها · ثم تكلم مرة واحدة وكأن هناك عبئا كبيرا يريد أن يتخلص منه ، مهما كانت العواقب :

« أنا اتجوزت قبل كده ·· كنت لسه معيد فى الكلية · بعد شهور قليلة من الجواز ظهر الخلاف الكبير اللى بينى وبينها ·· والحمد لله ماحصلش حمل ·· وكان لازم يحصل الطلاق · أهى كانت تجربة صعبة و ·· » ·

قاطعته بوابل من الأسئلة :

« كان اسمها إيه ؟ ·· كانت معانا فى الكلية ؟ ·· تقرب لك ؟ ·· وهى فين دلوقتى ؟ ·· إيه الخلاف اللى كان بينكم ؟ ·· ممكن أعرف ؟ ·· ممكن أفهم ؟!

انفجر اللغم وعليه مواجهة النتائج الدرامية ·· سيرد على طوفان فضولها مرة واحدة · مازالت تسلط عينيها عليه ، وان كانتا يتطاير منهما الشرر :

« اسمها عايدة ·· موظفة فى بنك ·· موش قريبتى ·· صديقة لأختى ·· هى دلوقتى متجوزة من زميل لها فى البنك ·· وسمعت ان عندها طفلين ·· ولد وبنت ·· والخلاف اللى كان بيننا هو الخلاف اللى لازم يكون بين واحد بيتعامل بالالوان ·· ومايعرفش الحساب ·· وواحدة بتتعامل بالأرقام وماتعرفش الخيال ·· فجوة كبيرة بين الاتنين ·· وعشان الحكاية انتهت بسرعة ·· زى ما تمت بسرعة ·· مافيش حد سمع عنها ·· ورغم كده ·· أنا كان لازم أقولك ·· » ·

اندفعت قائلة وكأنها تزيح غشاوة على عينيها :

« يبقى موش ضرورى نتجوز بسرعة » !

قال فى هـــدوء :

« الوضع بينا مختلف ·· أنا بأشتغل بالفن ·· بيقولوا انى فنان ·· وانتى كمان فنانة ·· ولا يمكن حيكون بينا خلاف » ·

ضاقت بهذا الهدوء :

« مين عارف ؟ ·· أنا لسة مااشتغلتش بالفن ·· يمكن حكاية الفرقة تسبب الخلاف ده ·· احنا لازم نأجل كل حاجة » ·

قاوم الغضـــب :

« موش معقول كل ما نتقابل نلعب لعبة القط والفار ·· توم

وجيرى ·· وبعدين حكاية الفرقة دى كلام فاضى ·· حاجة انتى رايحة لها عشان معاكى فلوس ·· موش عشان انتى فنانة ·· فرق الفنون الشعبية مسئولية الدولة ·· عايزة تتبرعى لهم ·· انتى حرة · ·ده رأيى سواء تم جوازنا ·· أو ماتمش » !

فوجىء بها تقول ·

« عايدة كان معاها حق ·· انت دكتاتور » !

انطلق ضاحكا رغم شعوره بالاهانة :

« خلاص عرفتى اسمها ؟ ·· أنا عارف انه حيفضل على لسانك دايما ·· وكمان أنا دكتاتور ·· كده مرة واحدة ·· خلاص ·· موش حاقولك انك دلوعة » !!

هبت واقفـــة :

« أنا ماشـــيه » !

هرولت ناحية باب الخروج · لم يتحرك من مكانه · ظل يتابعها بنظراته حتى اختفت فى الطريق · طلب فنجان قهوة ·· راهن نفسه على أنها ستعود · جاءت القهوة وتعمد أن يشربها فى بطء ·· دلوعة فى مقابل دكتاتور ليست اهانة ·· انه كما لو كان يمدحها · هذه هى حقيقتها ، وقد يكون هذا هو السبب الغامض لحبه لها ·· فائقة الجمال ودلوعة ·· ويجب أن يتذكر أيضا أنها أنهت دراستها بتفوق ·· ومازالت حائرة تبحث عن الطريق ·· وعليه أن يقف الى جوارها ·· مهما كان ·· هى قدره ، وهى معركته أيضا ··

هل تعود ؟ ·· هل تتصل به ثانية ؟!

اختفى « سعد الله » ·· كما ظهر فى حياتها باشاعة ·· اختفى من حياتها باشاعة أخـرى · يقولون انه بعـد أن كان فى

مقدمة المشيعين لجثمان أبيه في مدافن « عامود السوارى » تخلف بعد انصرافهم ، ولم يشعر أحد بتخلفه · وفى سرادق العزاء الذى أقيم فى الليل بمنزل العائلة فى « شارع السبع بنات » لم يكن موجودا ·· لم يظهر سوى اخوته · ودار رجاله يبحثون عنه فى كل مكان دون فائدة ·· توقعوا أن يكون فى كهف من كهوف «كفر عشرى» ·· ولم يكن هناك ·· وفى صباح اليوم التالى شاع الخبر ·· « سعد الله » وجدوه منكفئا على قبر أبيه ·· ومات هو الآخر !

تساءلت « أحلام » فى أسى ·· « هل هناك لعنة غير لعنة الفراعنة » كما يقولون ·· لعنة جديدة اسمها « لعنة عروس البحر » ·· هى وحدها تعرف تلك اللعنة ·· عرفتها عندما مات زوجها الأول « البحراوى » ·· وعرفتها عندما مات زوجها الثانى « كباره » · فهل مات « ســـعد الله » لأنه كان ينـــوى الزواج منها ؟! ·· لو استسلمت لهذه الفكرة ، وذلك الاحساس ، فانها قد تكره نفسها ·· ثم ·· هل هى عروس البحر فعلا ؟ ·· خالها عبد الله قال ان عروس البحر الأصلية ظهرت له ·· دعته لأن يغوص معها فى أعماق البحر ·· وعندما رحب بالدعوة ، وفرح لها ·· قالت له ان الموعد لم يحن بعد ؟! ·· هل اذا حان الموعد يموت خالها ؟ ·· يدب بأقدامه ، ويضرب بيديه حتى تتلقفه الأمواج ، ثم تأخذه الى تحت ·· الى القاع ·· بأمل اللقاء بها ·· بعروس البحر ؟!

ولكن ·· لماذا تتعجل الأمور ·· كيف يصل بها الأمر الى أن تحكم على نفسها تلك الأحكام القاسية ؟ ·· لو انتظرت ربما يظهر « سعد الله » ثانية ·· لا يستطيع أحد اخفاء الموت ·· ولا يستطيع أحد أيضا الهرب منه ·· لم يقل لها أحد انه قرأ نعيه فى الجرائد ·· ولم يذهب أحد تعرفه للعزاء !

تمنت ، وهى فى حيرة من نفسها ، أن يكون على قيد الحياة ·· لا من أجله ، وانما من أجل نفسها ·· سمعتها ·· خوفها من

أن تكون تلك الانسانة التى يموت كل من يرتبط بها ·· أو كل من يفكر فى الارتباط بها ··

كيف سيكون لها الطفل الذى تحلم بأن تحمله فى أحشائها ؟

لابد أن ترتبط برجل يحفل بالحياة ·· ولا ترتبط برجل لا تحفل به الحياة ·· هل يجب عليها أن تتزوج للمرة الثالثة ·· ومن هو ذلك الرجل ؟!

عروس البحر ؟! ·· لماذا تسيطر عليها فى الليل والنهار ؟ ·· ماذا تريد منها ·· أو ماذا تريد هى منها ؟

هل هى نعمة ·· أم لعنة ؟!!

- ١٤ -

لابد أن « مروة » تعرف كل شيء ·· من هى أسرته ؟ ·· ومن هى « أحلام » شقيقته · التقت بأخته « منى » ولكنهـا لم تلتق بأحلام بعد ·· ترى ماذا سيكون راى كل منهما فى الأخرى ؟! ·· والأهم ·· ماذا سيكون رأى « ضرغام » المستشار الكبير والد زميل « هيثم » وبالطبع أخته « مروة » ·· فى المرات الكثيرة التى التقى فيها معهم لم يتحدث عن أسرته ·· هل يقول لهم انها تاجرة كبيرة ، وصـاحبة أعمـــال لا أول لها ولا آخر ، ومالكة ما يقرب من ربع الاسكندرية كما يقولون ؟!

ثم ·· ماذا يقول عن خاله ؟!

هل يقول لهم انه ذلك الطواف الذى يتسبب فى تعطيل المرور بحجة تنظيمه ، وبعد ذلك يقف خطيبا وسط الطريق يقول الذى يقال ·· والذى لا يقال ؟!

« أحلام » تأخذ الامور ببساطة متناهية ·· تقول له نزورهم ومعنا خالنا « عبد الله » ·· هل فقدت عقلها ·· ماذا سيكون شكل الحوار الذى يدور بينه وبين « المستشار ضرغام » ؟ ·· وأى مطب سيقع فيه الجميع ؟!

افتقد الشجاعة أكثر من مرة ليتكلم عن أخته « أحلام » فكيف تأتيه الشجاعة للحديث عن « جحا » الاسكندرية ·· خاله ؟!

لا يعتقد أنها مشكلته وحده ‥ هى مشكلة « منى » أيضا ‥
ولكن أمر « عادل مرسى » أهون بكثير من « مروة » ، ومن أهلها ‥
ماذا يفعل ؟ ‥ هل ينكر قرابته له ؟ ‥ اذا أنكر هو فسيقول
الناس كل شيء ‥ انهم فور أن يروه فى الطريق يقولون انه خال
فلانة وفلان ‥ أية كارثة ؟!

يستطيع أن يسرب الحكاية مرة بعد مرة مع زميله « هيثم »
يقول انه انسان زاهد فى الدنيا ، وانه تخلى عن كل ما يملكه ‥
وطقت راسه ليصلح من شأن الناس ، وليواجه الأخطاء ‥ وليسب
كل من لا يعجبه !

فكرة ‥ وقد تأتى بنتائج عكسية ‥ « هيثم » ليس على ذلك
القدر من الاتزان ليحكم ، وليفهم ‥ فهل يصرح « لمروة » بكل
شيء ‥ وليكن ما يكون ؟!

كانت نافذة حجرته مفتوحة على البحر ‥ تطلع ناحية صخب
الموج فهاجمته أفكار لم يكن يتوقعها ‥ اذا كان هذا ما يدور فى
رأسه عن « أحلام » ‥ وعن خاله ‥ فمن الذى سيساعده للحصول
على مطالب الزواج ‥ وخاصة هذا النوع من الزواج المهر ‥
والشبكة ‥ وبالطبع ‥ الشقة ‥ لا يعقل أنه سيبقى فى بيت
« أحلام » بعد تخرجه . وبعد الزواج ‥ يعرف أن « أحلام » لن
تبخل عليه ‥ ستعطيه كل ما يطلبه وزيادة ‥ فهل يأخذ منها فى
الوقت الذى يحسب أن قرابتها له هى وخاله ‥ نوع من العار !

من العار تفكيره بهذه الطريقة منذ البداية ‥

ومن العار أن ينتهى تفكيره الى هذا المأزق ‥

فى آخر لقاء قالت له مروة :

« دادى بيلمح لواحد فى السلك الدبلوماسى » !

انزعج :

« عشـــان ايه » ؟

وقالت بالانجليزية لأنها تعرف أنه لا يجيد الفرنسية :

« فكر أنت ·· » !

لا يستطيع التفكير بأية لغة · اليوم السلك الدبلوماسى ، وغدا السلك القضائى وفى النهاية تطير « مروة » من بين يديه ·· هل ستظل العواطف كافية لاقناعها · سألها وهو يتظاهر بعدم الاهتمام :

« يعنى لو جالك سفير ·· توافقى ·· وتسافرى معاه ؟ » ·

ضايقه أنها قالت فى دلال :

« أفـــكر » !

حاول أن يبتسم ، وقال بالانجليزية :

« فوق جثتى » !

أين له الشجاعة الكافية ·· ليقول « جحا » خالى !!

● ●

كما طلبت منه عند رحيلها قبل نور النهار أن يغمض عينيه ··فانه يغمضهما الآن حتى تظهر ثانية ويجىء لزيارته ·· غالبه النوم ، ولكنه أحس بيديها تهزانه داخل الزورق برفق · تظاهر أنه لم يشعر بها حتى تطيل حنانها ·· سمع الضحكات الأنغام ، والكلمات الألحان ·· آه كم أنا بحاجة اليك يا عروس البحر !

فتح عينيه ليراها آتية بضياء القمر ·· تشـــع بالنور ·· يتماوج شعرها كأنه يغنى له مع غنائها ·· يخطف اللون الفضى تحت الخصر من انعكاس الأضواء على الموج المتهادى ·· القريب ··

تتسرب مناجاته :

« طال غيابك » ؟!

همست ويداها تتراقصان ويتراقص معهما الصدر العارى ..
أحقاق العاج :

« أنت الذى طال غيابك » !

لن يتكلم . تعب من الكلام . ينزلق من الزورق ليقترب منها . تضع رأسها فوق صدره . تواصل همساتها على ايقاع دقات قلبه :

« أعرف أنك كنت تنتظرنى كل صباح .. كنت أراك وأنا أحلق بين المياه والرمال مع بقية « النورس » .. ولكنك كنت تبدو دائما شارد الذهن .. ثم أراك تهرب الى الناس تستوقفهم ، وتطيل الحديث معهم .. وأنت لا يستوقفك أحد ، ولا يتحدث معك أحد .. قلبى ينفطر من أجلك .. فى أحيان كثيرة كنت أبكى .. نعم .. لاتظن أننى لا أعرف غير الغناء والضحكات .. دموعى يبتلعها البحر .. » .

مال ليقبل خدها . أعطته شفتيها ..

تكلم أخيرا ودموعه تقطر على وجنتيها :

« سأغوص معك الليلة » !

تباعدت عنه :

« يا حبيبى .. لم يحن الموعد بعد » !

كاد يصرخ :

« ومن يعرف الموعد » ؟!

ردت فى هدوء وخشوع :

« الذى يعرف كل موعد » !

خفت صوته :

« أسأله أن يعجل بموعدى » !

اقتربت منه . عادت براسها فوق صدره .. قالت وكأنها لن تفارقه :

« لم تسألنى مرة عن حياتى .. من أكون .. وكيف أعيش هناك فى أعماق البحر ؟ .. اننا مثلكم لنا الحياة الخاصة .. لن أقول اننا مملكة .. نحن رعايا من غير مملكة .. أكبرنا هو أكثرنا رعاية لغيره .. وأنا سمعت نداءك .. أدركت أنك محتـاج لى .. أنت لست منا ، ولا تعيش معنا .. ولكنى لا أستطيع تجاهل ذلك النداء .. طلبتنى فجئت اليك لأنى أعرف أنك لا تستطيع المجئ لى .. قد يجئ اليوم الذى تستطيع فيه لقائى هناك .. وحتى تتحقق تلك الأمنية فانى أحضر اليك .. وأحتضنك .. وأقبلك .. هيا .. أغمض عينيـك حتى أستطيع العـودة قبـل نور النهار .. أغمض عينيك » !

تشبث بها . قال كالمحموم :

« لا .. لا تتركينى .. ابقى معى .. أنا .. أنا لم أسمع حكاياتك .. أريد أن أعرف كل شئ عنك .. عن أهلك .. عن الكبار والصغار .. لا تتركينى .. مازال هناك متسع من الوقت قبل أن يهبط النهار .. كلمينى .. لا تبعدى رأسك عن صدرى .. لن أدعك تعودين الآن .. » !

طوقته وكأنهما فى أول اللقاء الذى جاء بعد غياب طويل :
« لن أتركك .. دع الحكايات الآن .. فلنستمتع الى أقصى ما نريد .. أرجو .. أرجو ألا تضايقك تلك الزعانف تحت خصرى .. متعتنا غير متعتكم .. لا يهم .. يكفينى أن صدرى فوق صدرك .. ويكفينى أن أحس مذاق شفتيك .. من أين لكم أنتم الذين تعيشون فوق الأرض كل هذا الدفء . الشمس لنا ولكم .. ورغم ذلك فأنتم تلتهبون فى الحب .. حـذار .. لن أكون كذلك معك

هناك .. ولن تكون أنت بنفس الحال .. الحب عندنا له مذاق آخر .. أرجوك .. ارجوك ألا تتعجله » !!

جاهد ليتكلم :

« سؤال .. هل ستكونين لى وحدى » ؟!

جاهدت لأن ترد :

« نعم .. لأنك صاحب النداء » !

انتفض :

« ربما يكون هناك من يناديك غيرى .. ربما .. » .

قاطعتـــه :

« لم أسمع غيرك » !

حاول أن يتماســـك :

« ولو سمعت » ؟!

قالت وهى تسحب نفسها بعيدا عنه :

« لن أسمع غيرك .. والآن .. طاوعنى .. أغمض عينيك » !!

- ١٥ -

لا تعرف كيف جاءتها تلك الفكرة الغريبة ، وكيف هبطت عليها كالوحى ٠٠ أن تعرض نفسها على أخصائى أمراض نساء ؟ ٠٠ ماذا تقول له وهى أرملة ؟! ٠٠ ثم هل بدأت تفكر جديا فى الزواج ؟! ٠٠ حقيقة لا تعرف ٠٠ لقد استقر رأيها أن تفعل ذلك ٠٠ وكل شىء بعد ذلك سيكون فى المرتبة الثانية ٠٠ باستثناء أن يكون لها طفل ٠٠ أن تصبح أما !

تخلصت من « الجمع » قبل « محطة الرمل » وطلبت منهم الانتظار فى السيارة وأكدت أنها لا تريد أن يصحبها أحد ٠ سارت على أقدامها وسط زحام الميدان الذى تزخر فيه الأضواء ٠ وصلت الى العمارة ٠ قرأت اللافتة التى تقول تخصصه ، ومكانه فى العمارة ومواعيد العمل ٠ هالها زحام السـيدات فى مدخل العيادة ٠ محظوظات ٠٠ كلهن منتفخات البطن ٠٠ المكان زاخر بالأمومة ٠٠ ماذا جاءت لتفعل هنا ٠٠ مكانها هناك فى السوق ٠٠ فان ترفقت بنفسها فعند الشاطىء تناجى حلمها القديم ٠٠ وفى الحالتين هى غير قانعة ، غير سعيدة ٠٠ فهل تتلمس سعادتها الليلة ؟!

أغدقت على الممرض ، فأسرع بتقديم وعد دخولها الى الطبيب بحجة أنها قريبته ، ورغم نظرات الاحتجاج النارية من المنتظرات فى قلق ٠٠

دار حوار سريع بينها وبين الطبيب قصير القامة ٠٠ سألها عن

مشكلتها ·· قالت : لا شيء ·· سألها عن مدة زواجها ؟ · قالت : أنا ارملة مرتين ·· أرملة رجل كان له أبناء ماتوا جميعا قبله ·· وأرملة رجل آخر تزوجها بعد زيجات كثيرة من أجل انجاب الولد ·· ومات قبل أن تنجب له ·· وربما لأنها لم تنجب !

قال الطبيب في نفاد صبر :

« وايه المطلوب مني دلوقتي » ؟!

قالت وهي تضع يدها على السرير المعد :

« الكشـــف » !

قال وهو يدعوها للاستلقاء ، ثم بعد أن غطاها بملاءة بيضاء :

« عمرك قد ايه » ؟

تنهدت قبل أن تمتد يداه لمباشرة الكشف :

« ستة وعشرين سنة » !

قال وهو مشغول للغاية :

« بس ؟! ·· وحصل لك كل ده ؟ ·· أنا شايف ان الرحم سليم ·· وعشان نتأكد لازم شوية تحاليل ·· واذا كنت ناوية على الجواز ·· اطمئني ·· ممكن يحصل حمل ·· واذا ماحصلش ·· ممكن العلاج ·· وعموما ·· » ·

قاطته :

« يعني التحاليل هي الحل » ؟!

انفجر ضاحكا :

« لا طبعا ·· لازم راجل كمان ·· قصدي ·· » ·

قاطعته ضاحكة هي الأخرى :

« مفهوم ·· ريحت قلبي » !

قال بعد أن غادرت الفراش ، واستعدت لمغادرة الحجرة :

« كان لازم العلاج من زمان ·· من وقت الجواز اللى كان فيه الزوج مخلف من واحدة تانية قبلك ·· أما الجواز التانى فالحكم على نتايجه موش من مصلحتك ·· آه ·· أنا نسيت أسألك ·· أول مرة اتجوزتى فيها كان عمرك كام سنة ؟! » ·

ردت فى أسى :

« خمستاشر » !

غادرت الحجرة دون أن تسمع تعليقه ·· ودون أن تعرف موعد الزيارة القادمة !

فوجئت « منى » بصوت « عزمى » يناديها قبل أن يدخل عليها حجرتها · ترى ما هو ذلك الأمر الهام الذى دفعه لأن يسعى اليها · وقف قبالتها ليقول بصوت خفيض :

« منى ·· أنا حاسيب البيت » !

ابتسمت قائلة :

وليه بتتكلم بصوت هامس ؟ ·· هو انت عايش فى البيت عشان تسيبه ؟

عاد الى صوته الطبيعى فى احباط :

« عندك مانع تسكنى معايا فى شقة لوحدنا » ؟

أسرعت « منى » تغلق الباب · ردت عليه فى انفعال :

« اسمع بقى ·· أنا صحيح أكبر منك بسنتين بس ·· لكن أعرف أكتر منك بمراحل ·· اللى انت بتقوله ده ·· بوادر تمرد ·· انسلاخ ·· ودى مقدمات مشاريعك القادمة ·· لزوم عيلة المستشار يعنى ·· وأنا موش موافقاك ·· عارف ليه ؟ ·· عشان الشقة اللى عايز تاخدها حتكون بفلوس أحلام ·· والمصاريف اياها حتكون فلوس أحلام ·· وكانت فلوس أحلام ·· موش كده ؟ ·· أحلام يا عزيزى ماتتعاملش كده ·· خيرها فوق راسنا كلنا ·· وانت

الراجل بتاعنا ·· واحدة أرملة والظاهر عايزه تتجوز للمرة الثالثة ·· وواحدة آنسة والظاهر عايزه تتجوز للمرة الأولى ·· ايه رأيك يا قائد البحرية » ؟!

قال وهو يضع يديه فى وسطه :

« مادمتى بتتكلمى كــــده بصراحة ·· ايه رأيك فى خالنا جحا » ؟!

قالت وهى تقلده :

« جينا لمربط الفرس ·· أولا خالنا عبد الله موش عايش معانا ·· ثانيا ·· هو خالنا ومانقدرش نقول غير كده ·· ثالثا أنا شخصيا حاقول للشخص اللى حارتبط بيه ·· سواء كان عادل مرسى أو غيره ·· اللى بتشوفه فى الشارع بيخطب فى الناس يبقى خالى ·· اذا كان عاجبك ؟ ·· أهلا وسهلا ·· » .

قال « عزمى » فى عناد :

« أتحداكى اذا كنتى حتعملى كده » !

غالبت صـــوته :

« وأنا أتحداك اذا كنت تقدر تعمل حاجة لوحدك ·· وانت فاهم » !

استدار خارجا من الحجرة وهو يقول فى غضب :

« وأنا قبلت التحدى » !!

- ١٦ -

زيارة غير متوقعة ‥ ياه ‥ عمتها « بدرية » توأم أبيها ؟!

تلاحق كل شيء في ذهنها قبل أن تخرج لمقابلتها هي ومن معها ‥ كيف تذكرتها بعد كل السنين لتزورها وكأنها كانت في خصام ؟! ‥ من ناحيتها لم تتوقف أبدا عن ارسال الذين يلبون طلباتها ، خاصة في المناسبات ، وفي كل عيد ، وفي كل مرة كانت تقول للمرسال انها تدعوها لاكلة سمك مشوى على « الكانون » في فناء بيتها بالدور الأرضى في « الباب الجديد » ‥ ياه ‥ أيتها العمة بدرية ‥ أنا ملكة السمك ‥ تدعونى لأكلة سمك ؟! ‥ ولكن يجب أن تعترف أن « الكانون » ، كما تتذكر من أيام زمان ، يجعل للسمك المشوى مذاقا خاصا ‥ كل ما عليها أن تضع صفيحة فارغة على جانبها ، ثم تملأ الفراغ بالحطب ، أو بالفحم ‥ وتشعل النار لتلتهب الصفيحة ‥ ويلتهب معها السمك !

أخذتها في أحضانها ‥ كأنها تحتضن أبيها ‥ ترقرقت الدموع في عينيها ‥ انحنى ظهرها ، وتدلت رأسها ناحية صدرها ‥ ولكنها احتفظت رغم الشعر الأبيض بالملامح ‥ ملامح أبيها ‥ وعندما تضحك تظهر السنتان الذهبيتان ‥ تماما مثل أبيها ‥ طال عناقهما فقالت عمتها في ارهاق :

« موش تسلمى على ابن عمتك اسماعيل » ؟!

انتبهت للشاب الذى هب واقفا • تختلف ملامحه عن عمتها •• هذه هى ملامح « عم حنفى » أبيه •• وخاصة الفم المتسع ، الذى يتحول الى ما يشبه « المغارة » عند الضحك •• مدت يدها مرحبة ودعته للجلوس •• كبر مرة واحدة •• انه يكاد يقاربها فى العمر •• آخر مرة شاهدته فيها كانت يوم فرحها •• كان يشارك عمتها فى جمع النقوط •• قبل أن تتكلم بادرتها عمتها دون مواربة :

« اسماعيل طالب ايدك » !

رجعت براسها الى الوراء •• أية مفاجأة ؟! •• لابد أن تواجه الموقف بلباقة فاجئة • عمتها يمكن أن تقلب الدنيا لو أسرعت بالرأى •• انهـا حتى تتكلم بطريقة أبيهـا •• أو كما كان يقول « المختصر •• المفيد » • والمختصر عند عمتها الآن أمر يجب تنفيذه •• أما المفيد فهو الطريقة التى ستواجه بها هذه المشكلة التى لم تكن تخطر لها على بال • فضلت الصمت • عادت عمتها الى الكلام بينما ابنها « اسماعيل » يكتفى بالابتسام :

« اسماعيل بقى مقاول كهربا كبير •• كل عمارات اسكندرية شغله » !

حاولت أن تتكلم • أن تقول كلمة •• ولكن عمتها واصلت :

« حتقولى انك شفتى بختك مرتين •• لكن اسماعيل ابن عمتك حاجة تانية •• هو اللى يعرف يقدر جمالك •• وأنا قلت له مافيش غير بنت خالك •• فين الشربات ؟ أنا موش عايزه شاى ولا يحزنون •• مافيش حد يزغرد » ؟!

عادت الأرض تحت قدميها • أحضرت الشربات فهى لا تستطيع مخالفة عمتها •• على الأقل فى هذا المطلب اليسير •• الشربات فقط •• أما ما يدل عليه من مناسبة •• فهذا موضوع آخر •• مقاول كهرباء •• معقول •• يمكن أن توصى المقاولين الذين يعملون لحسابها

أن يستعينوا به ٠٠ أما غير ذلك فهو المستحيل بعينه ٠٠ اسماعيل ابن عمتها ؟! ٠٠ هل يصدق أحد أنها تقبل الزواج منه ؟ ٠٠ هل يعرف ، وهل تعرف عمتها ، من هى أحلام ٠٠ وما هو سلطان أحـــلام ؟!

جاهدت لأن ترضى عمتها حتى آخر الحدود ٠٠ ظلت تردد كلمة « حاضر » ٠٠ حتى لو كان عقد القران واتمام الزواج بعد يومين ٠ اكتفت بالقول عند باب الخروج ، وهى تعيد احتضـــانها وكأنها تحتضن أبيها :

« اطمئنى يا عمتى ٠٠ كل حاجة زى ما انتى عايزه ٠ خليكى فى بيتك مستريحة٠٠وأنا حاجيلك بنفسى٠٠مافيش حاجة حتحصل الا لما أجيلك » !

أغلقت الباب ٠ انفجرت باكية !

- ١٧ -

اسمعينى يا أحــلام ٠٠ اسمعينى يا ابنة أختى رغم أنك لا تجلسين أمامى ٠٠ هذه الأيام أنت لست معى ؟!

أحلام لم تعد أحلام ٠٠ أحلام تغيرت !

قد أكون مخطئا يا شريكتى فى كل شىء ٠٠ وان لم أكن شريكك فى أى شىء ! ٠٠ لن أقف أمامك خطيبا ٠٠ فأنت مختلفة عن الناس ٠٠ أنت مسئوليتى ٠٠ والناس مسئولية بقية الناس ! ٠٠

تبتسمين وتلوحين بيدك فى الهواء ٠٠ فكيف لا تكونين معى وأنت تتطلعين مثلى الى البحر ٠ تعشــقينه ، وتكلمينه ٠٠ كما أعشقه ، وأكلمه ٠٠ أتذكر كلماتك وأنت صغيرة ٠ تلميذة ٠٠ بريئة ٠٠ لا تعرف أنه بعد شهور قليلة سيخطفونها فى أكبر شبكة صــيد ٠

« البحر يتكلم يا خال » ؟!

وافقتك فقلت فى حيرة :

« ثم يقولوا فى المدرسة انه من الكائنات الحية » ؟!

أطبقت على يدك وشــددتك لتلامس أقدامنا أطراف الموج المستكينة على الرمال ، ثم الهاربة منها ، وقلت لك :

« ألا ترين أنه يتنفس ؟ ٠٠ هو اليوم هادىء ٠٠ فهل تلاحظين

صخب أمواجه عندما يغضب ؟ ‥ انه كبير لا يقدر عليه الا خالقه ‥ غادر بمن يتطاول عليه ويفرد قلوعه فى غرور‥شديد السخاء ‥ زاخر بالخير ‥ اسمعى صوت أمواجه ‥ انه يتكلم ‥ لا يفهم لغته الا من يصادقه ‥ يحبه ‥ هو كائن حى تموت منه أمواج وتعيش أمواج ‥ سافرى بعيدا عنه وعودى لتجديه فى انتظارك ‥ شوقه يفوق شوقك ‥ هذا الرذاذ المتطاير على بشرتك فى رفق ‥ كلمات الترحيب بك ‥ ولو كنت فى ضيق ‥ بوحى له بما فى صدرك ‥ وهو سيفضى لك بالحل ‥ كائن حى ؟! ‥ نعم ‥ هو أفضل كائن حى » !!

وكانت البداية عنـــدما غردت شـــفتاك باللحن الذى لن انساه أبدا :

« أريد رؤية عروس البحر يا خال » ·

عروس البحر ؟! ‥ ألا يكفيك غرامك بالبحر · لماذا تذهبين بعيدا وتتطلعين لرؤية عروسة ‥ عروسى ‥ لن أرد عليك · مازلت صغيرة على الصبابة والعشق ‥ هل ترين هذا الأفق البعيد ‥ يقولون ان وراءه بلادا ‥ وفى تلك البلاد يقولون ان وراءه بلادا ‥ لا أحد يقول ان فى أعماقه بلادا وبلادا ‥ مخلوقات غير التى نعرفها وتقع فى شباكنا ‥ ملوك وحوريات ‥ كل مملكة لها لغتها الخاصة ولها أفراحها وأحزانها ‥ وكل حورية موعودة بمحبوب ‥ قد يكون من مملكتها ‥ وقد يكون من سكان الأرض ‥ وأنا أنتظر حوريتى ‥ عروستى ‥ أناديها وأعرف أنها ستلبى النداء ‥ تجىء الى ‥ أراها أمامى ‥ وتدعونى لحفل العرش ‥ أذهب معها الى مملكتها فى القاع ‥ أذهب ولا أعود ‥ !

هل تتذكرين يا أحلام ؟ ‥ لا أعتقد ‥ قلت لك انها جاءت

الى زورقى ·· ورأيتك لا تصدقين ·· تتحدثين عن شئون مملكتك ·· وتسخرين من أنهم يريدون تكبيلى بالقيود ·· جاءت محبوبتى يا أحلام ·· نامت فى أحضانى حتى الفجر ·· قبلتنى ·· قبلتها ·· وقبل أن ترحل تعلقت بها ·· بكيت ·· ولكنها كان يجب أن ترحل ·· قلت لك انها تزورنى فى الصباح ·· طائر نورس أبيض ·· ولم تسمعينى ·· أعرف أنك قد فقدت الطفولة والبراءة ·· فهل فقدت الحلم يا أحلام !؟

اعذرينى اذا قلت انك تغيرت··أنت حقيقة تغيرت··أصبحت أرقبك ، وأنتظر الغروب لأراك تقفين على الشاطىء لتناجيها ·· لترى لفسك فيها ·· ويفوت اليوم بعد اليوم وأنت تتباعدين ·· هل نسيت ؟!

هل تعرفين ؟ ·· أنا الذى أنتظرها كل ليلة ·· كل صباح ·· قالت لى فى آخر لقاء ·· « لقد طال غيابك » ! ·· لم أفهم لحظتها ماذا تقصد ·· ثم عرفت وفهمت ·· اللحظة التى لا أفكر فيها ·· غياب ·· انشغالى بالحديث مع الناس ·· غياب ·· تلبيتى لنداء الجوع فى بطنى ·· غياب ·· طال غيابى ·· فما بالك يا أحلام وقد طال الرحيل !!

ما رأيك ؟ ·· سأقول لها فى لقائنا التالى ان ابنة أختى تريد رؤيتك ؟ ·· لابد أن أستأذنها قبل أن تنتظريها معى فى الزورق ·· لو وافقت ستكون فرصتك لترحب بك ·· سترينها يا أحلام ·· الجمال الذى ليس مثله جمال ·· الشعر الذى يسبح فى الليل ·· العيون التى تخطف نور القمر ·· وربما كلمتك كما تكلمنى ·· اسأليها كل ما كنت تسألينني ·· هل تعرف أكثر منى ·· ليتها توافق ·· وليتك أنت توافقين !

البحر يتكلم يا أحلام ···

وعروس البحر تتكلم ··

فمتى تعودين ؟!

هل أنسى أنك تغيرت ؟

كيف أنسى وأنا أراك تكادين تزرعين أقدامك فى الارض .. تأخـــذك الدنيا وتأخذينها .. تديرين مملكة .. وتخطف عقلك المملكة .. ؟!

كيف أنسى وهلعى أن يضيع منك الحلم ؟!

- ١٨ -

هل هى محاكمة ؟! ·· ماذا يريدون منها ؟ ·· هم يرونها محظوظة بامتلاك ميراثين ، وهي يكفيها العذاب الذى عرفته من صاحبى الميراثين ؟ ·· تحاول أن تتغلب على كل الذكريات القاسية ، بأن تعيش ، وبأن تدع من حولها يعيشون · لم تنس فى لحظة واحدة أنها ابنة الصياد الفقير الذى أرغموه على بيع ابنته مرتين · كل ذنبها أنها فائقة الجمال ·· بيضاء وسـط الوجوه التى لوحتها الشمس ·· بريئة تحب أسرتها وتتمنى لها ذلك النوع من الحياة المحرومة منه ·· لهفها على أبيها عندما كان يمرض ·· ولهفها على أمها عندما كانت تفعل المستحيل حتى تجد لها ولأخويها الصغيرين اللقمة ·· تصنع الفطائر لتبيعها هى فى « حلقة الأنفوشى » لمن يبيع ولمن يشترى السمك ·· حينما تزوجت أول مرة أصبحت لا تذهب الى الحلقة الا وهى فى طريقها الى نادى « الصيد » القابع فى حضن « قلعة قايتباى » ·· تتفرج من بعيد ، ترى نفسها فى الصبى أو الصبية التى تبيع الفطائر ·· تنبثق الدموع من عينيها وأغلب من حولها لا يرون ، ولا يفهمون · أصبحت وهى بنت الخامسة عشرة تغترف من الواقع كل أحلامها القديمة ·· كل أحلامها ·· ماعدا حلما واحدا !

يحاكمونها ؟ ·· تأتى أختها « منى » فى البداية ، وتتاور بضرورة أن تتزوج حتى ولو كانت المرة الثالثة · صاحبة الأعمال

كما تقول لها سمعتها أيضا ·· هى مطمع للجميع ، والشاهد حكاية « سعد الله » ·· فلماذا لا تختار ، ولماذا لا تتزوج ؟ ·· و « الخال عبد الله » ؟ ·· هى تعرف أن « منى » تحبه مثل حبها له ·· ولكن ·· ماذا يعنى اقتراحها بأن ترغمه على البقاء فى مسكن يخصه ؟ ·· هل تحكم على خالها بالسجن ؟ ·· ماذا وراء هذا الاقتراح ؟ ·· هل هى رغبة أخيها « عزمى » أيضا ؟ ·· الصغير الذى يكبر وينتظر اليوم الذى يضع فيه النجوم الذهبية على كتفيه ؟!

يحاكمونها ؟ ·· تعرف دون أن تتكلم « منى » صراحة أنه ينوى مغادرة البيت ، هجرها هى ومنى ·· ليعيش وحده ·· أين تريد شقتك الجديدة يا أخى ·· هل تريدها فى « زيزنيا » قريبا من قصر « المستشار » ·· أم تريدها فى « كفر عبده » قريبا من الدبلوماسيين ؟! ·· أنا تحت أمرك ·· أموالى تحت أمرك ·· ولكن ··هل هذه هى الطريقة السليمة لشكر من سخرها الله لتعطيك ؟·· كل ما تريده يأتيك قبل أن تطلبه ·· أعرف أن فيك الكثير من عزة النفس التى ورثتها عن أبينا ·· فماذا عن عزة نفسى أنا أيضا ؟

قلت لك ، وقالت لك منى ·· انك رجل البيت ·· أنا وهى الحريم ·· وأنت صاحب العصمة والشارب ·· فهل تريد أن ترغمنى على ما تريد ؟ ·· ولأقولها لك بصراحة ·· أنت تريد اقصائى من حياتك ·· أنا بكل ما فعلت من أجلك تريد أن تبعدنى عن خطط مستقبلك ·· وبالطبع سيبتعد معى الخال عبد الله ·· وربما تحتفظ بالعزيزة « منى » ·· هى مثلك جامعية ، وهى مثلك فى طريقها للزواج من أهل الحسب ·· أنت المستشار وابنته ·· وهى الفنان المشهور الذى يظهر فى التليفزيون والمجلات ؟ ·· ماذا عنى أنا ؟ هل أقضى بقية عمرى وحدى فى هذا الشقاء الذى ترونه جاها ، وسلطانا ؟!

لماذا تأتينى المواجع من أقرب الناس لى ·· ؟

حتى عمتى « بدرية » التى أصبحت فى خبر كان٠٠خرجت من الكهف وقادت هجوما على ، وعلى كل ما أملك ٠٠ بقيادة ابنها اسماعيل مقاول الكهرباء ؟ ٠٠ هل يوافق أى منكما على أن أرتبط بابن عمتى لتزيد حكاية خالى حكاية جديدة ؟!

لا تتوقف دموعها ٠٠

هل تكون قد أسرفت فى حكمها عليهما ٠٠ فحاكمتهم قبل أن يحاكموها ؟!

أين هما الآن فى لقمة هنيه حول الطبلية ٠٠ فى ساعة مغربية ؟!

ابتسمت رغم دموعها ٠٠ هى تعرف نفسها ٠٠ هى تلك الانسانة القادرة دائما على الضحك والبكاء فى آن واحد ٠٠ لا يهم أن تبدأ الحكاية بالضحك لتنتهى الى الدموع ٠٠ أو أن تبدأ بالدموع لتنتهى الى الضحك ؟! ٠٠ أيام الطفولة تهاجمها بلا مناسبة ٠٠ كانت أمها « فتحية » ابنة نكتة ٠٠ تقول عن كل شىء ، وأى شىء ٠٠ انه « صعب » ٠٠ فى يوم كانوا متحلقين حول الطبلية يأكلون « أم الخلول » ٠٠ يجاهد كل منهم فى فتح صدفتها حتى يحصل على قطعة اللحم القتيلة داخلها ، ثم يغمسها فى الزيت المخلوط بالليمون ٠٠ فقالت فجأة :

« هو الملك كان بياكل أم الخلول » ؟!

وعندما لم يرد أحد عليها ٠ اندفعت قائلة :

«لازم كانوا بيقشروا له كوم بحاله ٠٠ ويا كله جاهز مع لقمة واحدة ٠٠ تعرفوا ٠٠ أن المرة الجايه حاعملكم « أم الخلول » الملوكى ٠٠ حافتحها كلها وأحطها على رز أحمر بالطماطم والبصل » !

تسكت ثم تقول متراجعة :

« لكن برضة أكل أم الخلول واحدة بواحدة ·· مزاج » !

كانوا يضحكون · هل ماتت أمها « فتحية » من الضحك ؟! ·· كانوا جميعا فى حفل زفاف فتاة من الجيران ·· وكانت فى أحسن حالاتها ·· شعرها فى ضفيرتين كبيرتين مضمومتين بشريط أحمر فوق راسها ·· ورقبتها بيضاء ، كالعاج ·· وفستانها أبيض ·· والحذاء أحمر ·· وفجأة وضعت يديها فوق الشريط الأحمر وقالت « راسى » ·· ثم سقطت على الأرض ·· أسرعوا بنقلها الى مستشفى « رأس التين » حتى لا ينقلب الفرح الى مأتم · قال الأطباء انه ارتفاع شديد فى ضغط الدم وقالوا انها فى غيبوبة ·· وبعدها قالوا : « البقية فى حياتكم » !

تعاودها الدموع ·

مازال يداهمها الحزن لأن أمها لم تدرك العز الذى أصبحت تعيش فيه ·· أدرك أبوها بعضا منه ، ويبدو أنه لم يتحمله ·· أو لعله كان مجروح القلب لفراق شريكة عمره · فى بعض الأحيان تكرهه لأنه استسلم لحكاية زواجها قبل أن تكمل شهادة الاعدادية ·· وفى بعض الأحيان تكره نفسها لأنها كرهته ·· أمها « فتحية » كانت تقول له دائما فى غزل علنى : « يا مهنينى طول الليل » !

فاذا احتج ضاحكا ، ومتسائلا عن النهار ·· تقول ضاحكة وهى تضربه على صدره فى دلال :

« الهنا عايز اتنين بس » !

تعاودها الابتسامة ··

كل ذكرياتها الشجية تأتى لها بالابتسامة ·· فهل تحكى لهما تلك الذكريات ؟!

أليسوا جميعا أولاد فتحية وحمامة ؟!

ربما تشاركها « منى » هذه الذكريات ·· وتشك كثيرا أن

يحتفظ « عزمى » بذكرى يوم واحد من تلك الأيام ·· حتى انه لا يذكر اسم الشهرة لأبيه حينما يكتب اسمه الثلاثي ·· من يومه وهو مرفوع الأنف ·· فهل كان سيظل كذلك لو لم تتزوج ؟ ·· هل كان يقبل أن يبيع الفطير فى حلقة الأنفوشى ؟!

عزمى ·· يا أخى الوحيـــد ·· لن أقف فى طريقـــك ·· مهما يكن !

قلبه يقول له انهـــا ستحضر الى « الأتيليه » يـوم افتتـاح معرضه ؟ ·· كل من فى الاسكندرية وخارجها ·· يعرف خبر هذا المعرض ·· أكثر من صحيفة تكلمت عنه مع صورة له ؟ ·· لابد أنها ستكون حريصـــة على التواحد لحظة أن يقص وزير الثقافة شريط الافتتاح ·· طالما حدثته عن سعادتها لمثل هذا الحدث الكبير. ·· هى فنانة ولن يمنعها أى خلاف بينهما ·· قال لها ببساطة ما حدث فى ماضيه حتى تكون البداية صفحة بيضاء ·· اكتفت بالقول : « عايدة كان معاها حق ·· انت دكتاتور » !

الدكتاتور فى حاجة اليك اليوم يا منى ··

لن تكتمل نشوتى الا بحضورك ·· ألا يكفيك أنك لم تشاركينى لاعداد للمعرض ·· وترتيب اللوحات ؟! ·· لا تجعلينى أشعر بالندم لأنى أخبرتك بحكاية زواجى الأولى ·· فالندم الحقيقى أن أفقدك · هناك مفاجأة تنتظرك ·· اللوحة التى حدثتك عنها ·· صورتك التى رسمتها من خيالى ·· فكانت حقيقة ·· أنت !

حضر وزير الثقافة فى موكبه التقليدى ·· هو حريص دائما على افتتاح معارض الفنانين فى الاسكندرية ·· بلدته ·· فضلا عن أنه خريج نفس الكلية فى « مظلوم باشا » ·· تناثرت التهانى وكلمات الاعجاب ، وهو يحول دون اكتمال يومه ، وتلون ابتسامته بغير اللون الأصــفر ·· غياب منى ·· هل تكون فى الصــفوف

الخلفية ، أو فى مكان بعيد ترقب منه كل شىء ؟ ٠٠ ربما ٠٠ تسلل ليبحث عنها فى كل مكان ٠٠ أثار الدهشة لذهوله وغياب ذهنه غير المتوقعين فى مناسبة فريدة مثل هذه المناسبة ٠ لم يجدها ٠ واصل كل شىء دون أى احساس بالفرح ٠

اتجه ناحية وزير الثقافة وقد رآه يقف طويلا أمام « بورتريه » تلك الجنية التى يهدر شعرها كموج البحر ٠٠ قال له انها تبدو كأنها الاســـكندرية ذاتها ٠٠ كأنها الانطلاق والحرية ٠٠ كأنها الشاطىء والأفق ٠٠

سمع الكلام وعيونه لاتزال تبحث عنها ٠٠

بعدها غادر وزير الثقافة الأتيليه ٠٠ عاد يقف أمام صورتها ٠٠ لابد أن يعترف أنه لن يستطيع مواصلة حياته بدونها ٠٠ هى فعلا قدره ومعركته ٠٠ ان لم يكن هذا هو العشق ٠٠ فما هو العشق ؟

هل يبادر هذه المرة بالسؤال عنها ٠٠ بالذهاب اليها ؟ ٠٠ تغضب عندما يلجأ الى أسرتها ٠٠ تعتبرها اهانة ٠٠ هى صاحبة الشأن وهى الوحيدة التى يلجأ اليها ٠٠

حاول بصعوبة بالغة أن يبتسم لمن بقوا معه فى المعرض ٠٠

رغم عدم ظهورها ٠٠ لم يفقد الأمل فى أنها ستجىء فى الأيام التـــالية !

- ١٩ -

قالت له « مروة » وكأنها لا تقصد ما تقوله :

« الظاهر اننا موش حنشوف بعض بعد كده » !

أطل على البحر من الشرفة العالية للفندق المطل على خليج « الطابية » القديمة · غاب ذهنه عنها للحظات ، فقد كان من يخطط لأن يكون حفل زفافه هنا وشهر العسل أيضا · هذا الفندق رمز لرجال البحرية · عاد اليها ليقول وكأنه لم يسمع ما قالته فقد تعود عليه فى الأيام الأخيرة :

« المنظر حيكون جميل من الجناح بتاعنا » !

قالت وهى تلوى ذراعه :

« طبعا انت ماسمعتنيش ·· باقول ·· » ·

انفجر فى غضب حقيقى وعلا صوته على صوتها :

« سامع ·· وعارف ·· خطيب جديد ·· خلاص ·· عايزانى أقول ايه ·· مبروك ؟! · حاقولها ياستى ·· مبروك ·· هى ايه الحكاية ؟ ·· انتى بتحبينى ولا لأ ·· لك رأى ولا لا ؟ ·· عايزة تفهمينى ان والدك سيادة المستشار حيجوزك غصب عنك ؟ ·· مافيش مرة نتقابل الا وتقولى وتعيدى فى الحكاية دى ·· ده شىء فوق الاحتمال » !

انتصبت واقفة :

« انت ازاى تكلمنى بالطريقة دى » ؟

واصل غضبه :

« وتقدرى تمشى اذا كنتى عايزة ·· أنا قاعد هنا » !

لدهشته البالغة عادت الى جلستها أمامه ·· كانت تتجه اليه بنظرات يختلط فيها الخوف ، والاعجاب ، والاحتجاج ، والحيرة · عند هذا الحد · لن يتكلم وليتها لا تتكلم هى الأخرى · تطلع الى الأنثى التى يود الارتباط بها وسعد بكيانها الذى تضاءل وانكمش، هكذا يريدها بين ذراعيه وفوق صدره · تشتعل الوجنتان بلهيب الحمرة البادية فى جلاء · تزم الشفتين لتندمجا فى شفة واحدة كأنها حبة كريز ·· كم أحبها ، وكم يحبها أكثر الآن ! · قاوم رغبته الجامحة فى أن يقوم ويحتضنها ، ويقبلها ·· وتراجع عندما استطلع الجالسين حولهما · ليته يكون على هذا الحال كلما كان معها ، وليتها تظل على هذه الصورة بقية حياتها !

تهادت سيارته بعد أن نزلت منها أمام قصر أبيها فى « زيزنيا » ·· هل تراها تخبر أخاها « هيثم » بما حدث بينهما ، وبما قاله لها ؟! ·· ينتظر حتى يقابله فى الكلية يوم السبت ، وربما يسعى لمقابلته قبل ذلك · هيثم يلعب دور الأخ العصرى الذى يبارك وقوع أخته فى الحب · لم يحاول أبدا التدخل بينهما ·· فعل هو نفس الشىء عندما التقى بأخته « منى » ·· قال بعد اللقاء ·· « أختك منى جميلة جدا ·· لكن أنا موش قد بتوع الفن » ! ·· وقالت له « منى » وهما فى طريق عودتهما الى البيت ·· « صاحبك معقول ·· لكن ناقصه انه يكبر » !

قال لمنى فى آخر حوار بينهما انه يقبل التحدى ·· وانه ينوى الاعتماد على نفسه فى كل شىء ·· فهل يتنازل عن هذه السيارة التى اشترتها له « أحلام » ؟ ·· هل ينتظر أول مرتب له

ليشترى الشبكة المناسبة ، ويدفع المهر ، ويجد الشقة التى تليق بابنة المستشار ؟!

ما كان يجب أن يتسرع ‥ ليس بينه وبين « أحلام » أية مشكلة ‥ باركت علاقته مع « مروة » وعرضت عليه الذهاب معه لخطبتها ‥ هل المشكلة أنها ستصحب الخال عبد الله معها ؟ ‥ أم أن المشكلة « أحلام » ذاتها ؟ ‥

من أدراه أن ذلك المستشار يعرف كل شىء ‥ هو لا يخفى شيئا عن «هيثم» الا حكاية خاله «جحا» ‥ وأخته أحلام عضـوة فى كل نوادى الاسكندرية الكبيرة ‥ « سبورتنج » و « اليخت » و « الصيد » حتى نادى « السـيارات » فهى عضـوة فى مجلس الادارة ‥ والكل يعاملها باحتـرام لأنها لا تكف عن التبرعات ، ولا تغل يدها عن الذين يطلبون العون باسم مشروعات الكثير منها وهمى ‥ مرة مكافحة الأمية ‥ ومرة لتشغيل أهالى نزلاء سجن « الحضرة » ‥ ومرة من أجل تجميل المدينة !

أول شىء يفعله الليلة هو التراجع أمام « منى » ‥ هو حقيقة لن يستطيع الاقدام على أى شىء وحده ‥ يكذب لو قال غير ذلك ‥ العقل كل العقل أن يحصل على كل ما يريد من « أحلام » ‥ سيارة جديدة ، متطلبات الخطبة والزواج ، الشقة ‥ كل شىء ‥ فياليتها لا تكون قد أخبرتها بما قاله فى لحظة غضب عمياء ‥ ومهما يحدث فان صـدره لن يضيق بكلمات « منى» القاسية ‥ يتحملها هى الأخرى حتى تجىء اللحظة التى يفض فيها سيرتهم جميعا ‥ ويبدأ حياة أخرى مختلفة تماما !

فرصته كبيرة لأن « أحلام » ليست فى البيت ‥ رفع صوته كأنه يغنى :

« تـوبة » !

ضحكت « منى » وقالت له بكل الفهم :

« الرســـالة وصلت »

واصـــــل الغنــاء :

« وأنا كل ما أقول التوبه ٠٠ ترميني المقادير » !

استدارت ناحيته لتقول في حزم :

عرفت ان الله حق ؟ ٠٠ طب كنت أستنى شوية ٠٠ مستعجل ليه ؟ ٠٠ احنا كده ٠ نكفر بالنعمة ٠٠ مروة قالت لك ايه النهاردة ٠٠ قالت لك مين تاني حيخطبها ؟!

لم يرد عليها ٠ ابتعد ليدخل حجرته ٠ ظلت ترقبه حتى أغلق الباب في اعلان سافر لنوبة هروب ٠ فكرت في أن تقتحم عليه خلوته لتفصح له عن بقية ما تختزنه في صدرها ٠٠ تقول له ان « مروة » لا تنفعه ٠ وأنها على يقين من أنها لا تحبه ٠٠ بهرته بثقافتها الفرنسية ٠٠ وبمنصب أبيها ٠٠ وبممارسة حرية أن تلتقى به في أى وقت تشاء ٠٠ سواء مع أخيها أو وحدها ٠٠ وهو تجاربه معدومة ٠٠ من المدرسة الى أسوار الكلية البحرية التي لا يغادرها الا كل خميس وجمعة ٠٠ ولو حدث وقابل غيرها فمن المؤكد أنه قد يغير رأيه ٠٠ وينسى « مروة » وأيامها !

بالطبع لن يحتمل كلمة واحدة من هذا الكلام الذى لم تقله ٠٠

سمعت صوت الموسيقى يرتفع من المسجل في حجرته ٠٠ جاش صدرها بالحنان ٠ تمنت لو نادته ليضع رأسه فوق كتفها ٠٠ ويبكى لو أراد ٠٠

قلبى معك يا أخى !!

- ٢٠ -

انشغل عن العالم كله ليحيل شجرة التوت الى « فلوكة » ٠٠ قارب صغير زاهي الألوان ٠٠ يكتب عليه بعد ما شاء الله ٠٠ توكلت على الله ٠٠ « البحراوى الصغير » !

اقترب منه « النجرو » الذى يساعده فى امساك المنشار ذى المقبضين ، وقال وهو ينفث دخان سيجارته التى تلاشت فى فمه وتكاد تحرق شفتيه :

« لحد امتى حتفضل شايل فى قلبك » ؟!

رد وهو يدق المسمار الكبير فى جانب الخشب :

« لسه ماجاش الأوان » !

سرى ياناس أعجب الأسرار ٠ يعرفه كل الناس ومع ذلك يكتمونه دون أن يطالبهم أحد بالكتمان ٠ أنا البحراوى الصغير ٠ كان أخى الكبير ٠ البحراوى سلطان ما بين بحرى وكفر عشرى ٠ بدأ فى المهنة التى انتهيت أنا اليها ٠٠ نجارة « الفلائك » ٠٠ ولكنه لم يكن غبيا مثلى ٠٠ عمل فى كل شىء ٠٠ فى الخشب ، وفى الصيد، وفى التهريب ، وفى كل ما لونه أخضر ٠٠ وطول عمره كان حزين القلب ٠ لم يكن يعيش له ولد ولا بنت ٠٠ ولاد الحلال قالوا له تزوج صبية عفية تعطيك الولد العفى ٠٠ لم يجد أمامه غير بنت « حمامة » الذى كان يعمل عنده ٠٠ بنت كفلقة القمر ٠٠ أخذها من الفقر الى العز ٠٠ وهى أخذته من الغم الى النعيم ٠٠ لكن يا خسارة ٠٠ الحلو

لا يكمل أبدا٠٠طال الزمن والصبية لا تحمل البشارة٠٠لا أحد يعرف اذا ما كان الذنب ذنبه ٠٠ أم ذنبها ٠٠ طاله المرض وبعدها توكل٠٠ وهي فردت جناحيها على كل شيء ٠٠ قلت أنا أخوه ولابد لى فى الحظ نايب ٠٠ قالوا كل شيء مكتوب باسمها ومسجل فى الشهر العقارى ٠٠ قلت : مهما يكن الأخ لابد أن يكون له نصيب ٠٠ قالوا : أنت أخوه من الأم فقط ٠٠ قلت : وهل لا يشفع أن أمى هى أمه ٠٠ واسمى ؟ ٠٠ أنا أيضا اسمى « البحراوى » ٠٠ كنت فى حياة أخى لا أحمل هم الدنيا ٠٠ من مقهى الى مقهى ٠٠ وبعد موته عدت للكار القديم ٠ الملعونة تحاول خداعى وخداع الناس بمعلوم ترسله لى كل أول شهر ٠٠ نفس الذى تفعله مع الكثير من الأهالى ٠٠ وأنا لست من الأغراب ٠٠ « أنا البحراوى الصغير » ولابد أن يأتى اليوم٠الذى أحصل فيه على حقى ٠٠ هل من المعقول أن تأخذ مال أخى وتذهب به الى رجل آخر ٠٠ وبعد موت هذا الرجل الثانى تأخذ ماله أيضا وتضعه فى عبها ؟! ٠٠ تمر على بسيارتها فى الذهاب والاياب ، ولا تفكر مرة واحدة فى النزول الى الشـــاطىء لتسأل عنى ٠٠ أكذب لو قلت ان الأوان لم يحن بعد ٠٠ أنا أحق بها ٠٠ وبالمال من أى رجل آخر ٠٠ وفى أقرب فرصة لابد من قطع العرق واسالة الدم ٠٠ بالمعروف يا بنت الناس أو بالمنشـــار ٠٠ مات البحراوى الكبير وأنا البحراوى الصغير ٠٠ لا يهم أنى أخوه من أمه فقط ٠٠ ملعونة كل امرأة عرفت أكثر من رجل واحد ٠٠ !

يقول له « النجرو » وهو يشعل سيجارة جديدة :

« حتفتكرنى يا بحراوى » ؟!

يصرخ فى وجهه :

« هات المنشار ده ٠٠ هاته ماتخافش ٠٠ حطه فوق رقبتى ٠٠ حطه ماتخافش ٠٠ ساعتها بقى اعمل كده ٠٠ خلى الراس تطير ٠٠ أنا موش قليل الأصل ٠٠ كل جنيه لك فيه الربع ٠٠ كفاية ؟ ٠٠ مبســـوط ؟! ٠

يندفع « النجرو » فى فرح غامر :

« طب هات ربع جنى دلوقتى » !

يتعالى صــــوته :

« ياابن الأبالسه ٠٠ هو أنا لسه طلت حاجة » !

يتراجع « النجرو » وقد فقد حماسه :

« يعنى كلام » ؟!

لا يرد عليه ٠ يبحث فى جيبه عن سيجارة يدخنها هو الآخر ٠ لا يجد ٠ يمد يده طالبا واحدة منه ٠ يكتفى « النجرو » باعطائه السيجارة المشتعلة فى يده ٠ يسرع بها الى فمه ليضغط عليها بشفتيه فى غيظ ٠٠ هذا هو السبب الذى يكتمون من أجله السر الذى لم يعد سرا ٠٠ كلهم يعتقدون أنه لا حول له ولا قوة ٠٠ كله كلام ابن كلام ٠٠ ولكنهم لا يفهمونه حق الفهم ٠٠ الذى يقدر أن يعمل من خشب التوت فلوكة ٠٠ يقدر أن يشق الليل ويقطع الرقاب ٠٠

الملعونة تحاول خداعى ؟!

● ●

دارت حول مبنى المحافظة فى شارع « الحرية » لتبحث عن مكان قريب من « الأتيليه » تضع فيه سيارتها ٠٠ تزايد تساقط المطر ٠ فأنعشتها فور مغادرتها السيارة تلك القطرات المتراقصة وكأنها لا تريد النزول الى الأرض ٠ تفرح للمطر وتتفاءل به - لم تسرع خطاها الى داخـل « الأتيليه » ولم تخش على شعرها من البلل ٠٠ حين شقت طريقها الى مكان المعرض كانت كحمامة بيضاء تود لو تواصل الطيران ٠٠ من لوحة الى لوحة ٠٠ دون توقف ٠٠

لو صادفها « عادل » فى تلك المهلة المسروقة من الزمن ٠٠ لاحتضنته وأغرقت وجهه بالقبلات ٠ تستطيع تبين مكانه وسـط العدد المحدود من رواد المعرض ٠ حينما رأته تسمرت مكانها فلم

يكن فاتحا يديه ٠٠ ولم يهرع ناحيتها فى شوق ولهفة كما كانت تتوقع ٠٠

اكتفت بأن تمد يدها بالتحية ٠ قال فى صوت خيل لها أنها سمعته وحدها :

« الافتتاح كان من يومين ٠٠ كنت فين » ؟!

ردت عليه بصوت يسمعه الجميع :

« اتفرج الآن ٠ وبعدين نتكلم » !

سار أمامها فى الممرات الضيقة ٠ يشير الى أعماله المعلقة ثم يتأملها وهى تطيل النظر اليها ٠ كانت مبهورة ٠ هذا الرجل فنان حقيقى ٠٠ عشقه للون الأزرق يجعل اللون موسيقى مصاحبة لكل الأعمال ٠ تلكأ أمام « البورتريه » الخاص بها ٠٠ تلكأت هى الأخرى٠ هل هى بكل هذا الجمال ؟ ٠٠ كيف حقق هذا التميز دون أن تجلس أمامه ليرسمها ٠٠

همست فى وجد :

« واللوحة اسمها ايه » ؟

رد على الفور ، وكأنه قد أعد الجواب :

« الحـــرية » !

ابتسمت دون تعليق ٠ مبارزة صـــامتة ٠ أنا أقول عليك « الدكتاتور » ٠٠ وأنت تختار لى وصف « الحرية » ؟ ٠٠ اللقـاء المستحيل ٠٠ فهل هو اختيار مقصود ؟ ٠٠ هل ربط بين ما قالته وبين ما يريد أن يقــوله ٠ قالت عند الممر الأخير وكأنها تلتقط أنفاسها بعد مشوار طويل :

« أشكرك على حريتى » ٠

قال فى ذكاء :

« أنا لم أمنحها لك ‥ هى ملكك من البداية » !

قالت بدون مناسبة :

« على فكرة ‥ الدنيا بتمطر فى الشارع ‥ المطر فى الليل أمتع شىء فى الدنيا ‥ كأنه ‥ كأنه وصال بين السما والأرض ‥ كأنه ‥ » .

قاطعها وهو يدعوها لكوب من الشاى :

« ايه الرومانسية دى كلها ؟ ‥ اتفضلى اشربى ‥ الجو البارد ده عايز حاجة دافية ‥ فكرتينى والتى بتسألى عن البورتريه ‥ وزير الثقافة معجب بيه جدا ‥ قال كلام كتير عنه ‥ قال ان الشعر له هدير كموج البحر ‥ تعبير جميل ‥ لأن الهدير بيتسمع ومافيش حد يشوفه ‥ وقال كمان ان التعبير كأنه اسكندرية نفسها ‥ » .

قالت قبل أن يواصل كلامه :

« والحرية » ؟!

ابتسم ليؤكد :

« أيوه ‥ الانطلاق والحرية ‥ » .

دارت حول نفسها بما يوحى بأنها تريد مغادرة المكان . أمسك بيدها بطريقة لا تمكنها من الافلات بعيدا عنه . قال فى جدية حانية ، ومفاجئة :

« الليلة حنحتفل بخطوبتنا » !

- ٢١ -

رأتها ، كأنما ترى نفسها ، تطاير ثوبهـــا فتخلصت منه ليضوى جسدها فوق الموج · ترفع يديها لتدخل بها الوهج القانى لقرص الشمس القريب منها !

أتراها تبحث عنه ؟ ·· أين هو الآن ؟ ·· كيف نسيته ؟ ·· قبل أن تأخذها الحياة ، كان هو الحياة ·· صغيرة كانت فقيرة ·· وكانت تسميه « الولد الذهبى » ·· أبيض ·· أحمر الشعر ·· ولد ولا كل الأولاد ·· فارع الطول ·· عيونه بلون زرقة البحر ·· جاء مع أسرته من « دســـوق » الى دروب « الأباصيرى » تعلقت عيناها به منذ اللحظة التى رأته فيها··عرفت بعد وقت طويل لماذا يرتدى الجلباب ولا يغيره أبدا ·· فتح أبوه وكان « خياط عربى » عند قمة حارة قريبة من مقهى « فاروق » الشهير ·· وعرفت أنه يتعلم فى « المعهد الدينى » ويساعد أباه فى الدكان آخر النهار ·· ظلت تسأل وتسأل ·· وتبحث عن الأجـوبة بالحاح غريب فى أعماقها ·· تعرفت على أمه وتمنت لو كانت له أخت لصاحبتها ·· انتظرت فى شوق داهم أن يشترى منها الفطير الطازج الذى تعده أمها ، وتبيعه عند الحلقة · حين جاء توصت به ، وزادت من كمية السكر الناعم فوق الفطيرتين ·· واحدة له والثانية لأبيه ·· لا تنسى نظرته اليها وقوله فى حياء : « فطيرك حلو » ! ·· تراقص قلبها

فى صدرها النافر من يومه ٠٠ كأنه يقصدها ٠٠ وتتذكر انها قالت له فى جرأة لا تعرف من أين جاءتها : « وانت عيونك حلوة » !

طواها أيامها غرام كبير لم تعرفه واحدة من الصغيرات مثلها ٠٠ تغلبها اللهفة على أن تراه ٠٠ تسلك كل الدروب حتى تلتقى به ٠٠ وفى يوم رأته جالسا على الصخر يتطلع للبحر ٠٠ لم يشعر بها فى البداية ٠٠ حين لمحها استدار ناحيتها فى فرحة بادية ٠ قال وهو يعيد نظراته الى الأفق البعيد : « ماكنتش أعرف غير النيل ٠٠ فى دسوق بلدنا مداه واسع كبير ٠٠ ونقول عليه البحر ٠٠ لأ ٠٠ البحر هنا حاجة تانية ٠٠ مافيش حد يقدر يطوله !

جلست بجواره ٠ قالت وكأنها لم تسمع كل الذى قاله :

« انت اسمك مصطفى ٠٠ موش كده ؟ ٠٠ أنا اسمى أحلام ٠٠ أبويا صياد لكن الأيام دى بعافيته ٠٠ عشان كده بنبيع فطير ٠٠ انت بتدرس ايه فى المعهد » ؟

استكان لكلامها ٠٠ ولم تتوقف كلماته ٠٠ قال انه يجىء الى نفس المكان فى الفترة التى ينام فيها أبوه بعد الظهر ٠ فهمت أنه يريد لقاءها ٠٠ عاود قلبها رقصاته ٠٠ فى المرة التالية أخذت معها ورقة مكتوبا فيها بيت من الشعر طلبوا منها فى المدرسة كتابة موضوع انشاء منه ٠ أخذ منها الورقة ٠٠ قرأ : « كل من فى الكون يشكو دهره ٠٠ ليت شعرى هذه الدنيا لمن ؟! ٠٠ » قال لها انه سيعد الموضوع فى اليوم التالى ٠٠ وحرصت على الذهاب ولكنها لم تجده ٠٠ بحثت عنه فى كل مكان ٠ حومت حول دكان أبيه ولم تره هناك ٠٠ أين ذهب ؟ هل تمتلك الجرأة الكافية لأن تسأل أباه عنه ٠٠ بالأمس كان معها ٠ أخذ الورقة منها قرأ بيت الشعر أمامها ٠٠ واعدها ٠٠ فكيف اختفى ؟!

البحر لا يستطيع أحد أن يطوله ٠٠ كلماته التى لا تنساها أبدا ٠٠ انشغلت قبل الزواج ، وضاعت بعده ٠٠ يأتيها كالطيف

ولكنها لا تجد المتسع الذى تذهب فيه اليه ‥ كيف ظهر فى حياتها كالحلم ‥ واختفى كالحلم ؟ ‥ ولماذا تتذكره الآن ؟!

سألت مرة فى عفوية كاذبة :

« موش كان هنا دكان خياط عربى » ؟!

سمعت الرد الذى لم تسعد له :

« ياه ‥ قفلوه من زمان ‥ وما حدش عارف حاجه عن صاحبه » !

واصلت عفويتها الكاذبة :

« كانوا ساكنين قريب من سيدى الأباصيرى » ؟

أسكتها الرد :

« بيت قديم هدوه ‥ وبقى عمارة » !

الحلم يعانق الحلم ‥ عروس البحر والولد الذهبى ‥ هى وهو ‥ كانت تزيد له من السكر الناعم فوق فطيرته ‥ وكان يطريها « وانت فطيرك حلو » ‥ عاشت البداية والنهاية فى وقت واحد ‥ تذهب الى مكان اللقاء ‥ الى الصخرة ‥ تراه دون أن تراه ‥ تتطلع الى الأفق البعيد ‥ تراها دون أن تراها !

يقول لى « الخال عبد الله » ‥ « خطفوك يا عروس البحر » .

تعرف كل شىء عنى يا خال ولا تعرف حكاية « الولد الذهبى » ‥ ذلك هو سر البنات الأوحد ‥ فكرت أن أحكى لأمى « فتحية » وتراجعت ‥ أنا لست الانسانة القادرة على مواجهة سخريتها وضحكاتها ‥ وكانت أختى « منى » صغيرة ‥ لن تكتم السر ‥ ولن تفهم السر ‥ عاش « الولد الذهبى » وحيدا فى قلبى ‥ سجينا فى صدرى ‥ وفى الظلام كان هو الرجل الذى يعانقنى ‥ مهما كان الرجل الذى يعانقنى !!

هى حرة الآن ‥ فهل تبحث عنه ؟ ‥ هل تجده ؟ ‥ أين هو الآن ؟ ‥ هل هو على قيد الحياة ‥ لو رأته فستعرفه حالا ‥ لن يكون قد تجاوز الثلاثين ولابد أنه يحتفظ بشعره الأحمر ‥ وبالعينين بلون زرقة البحر ‥ فهل يحتفظ بذكرياته معها ؟ ‥ لو تذكر ‥ فانه لا يعرف غير بائعة الفطير ‥ لن يصدق أنها « أحـــلام » ذات الجاه والسـلطان ‥ أنا أصبحت أكثر جمالا يا مصطفى ‥ ولو جمعتنا الصدفة فلابد أنك ستعرفنى ‥ سنوات طويلة مضت ‥ ولابد أن تعرفنى ‥ لماذا لا تجىء الى الصخرة ؟ ‥ البحر مازال هو البحر !

هـل تعرف يا مصـطفى ‥ الطبيب قال لى اننى أسـتطيع الانجاب ‥ لو حدث وقابلتك وكنت حرا مثلى ‥ فلن أتركك ‥ لابد أن نتزوج ‥ ورغم أن اسمك مصطفى فسيكون اسم أول ولد لنا « مصطفى أيضا » ‥ الولد الذهبى الثانى ‥ وكل الجاه والسلطان لك ‥

صدقنى ‥ أدفع كل ما هبط على من السماء ‥ مقابل طرفة عين من ذلك اللقاء الذى جمعنا معا دون أى لقاء آخر بعده !

قلبى يقول لى انك تحتفظ بالورقة التى كتبت لك فيها بخطى الردىء ذلك البيت من الشعر الذى أصبح حقيقة واقعة ؟ ‥ ليتنى ما لجأت به اليك !

فى النور ‥ فى الظلام ‥ أريدك الرجل الذى يعانقنى !

● ●

لم يذهب للقاء «مروة » فى الموعد الذى اعتادا أن يلتقيا فيه ٠ درس اللقاء الأخير لابد أن يستفيد منه ، ولابد أن تستفيد منه هى أيضا !

آخر ما كان يتوقعـه أن تستسلم بتلك الطريقـة ‥ وان تنكمش أمامه فى خوف؟ ‥ انه يكاد يكون قد طردها ، ورغم ذلك ،

ورغم نيتها لمغادرة المكان المزدحم بالناس ، فقد عادت الى جلستها أمامه . ولم تعلق بكلمة واحدة ... حتى فى السيارة ظلت صامتة . عند باب قصر المستشار ضرغام قال على عجل :

« أشوفك الخميس الجاى » !

هزت رأسها بالموافقة . سؤال يطرحه الآن وقد وجد فى نفسه القدرة على عدم الذهاب للقائها .. هل يحبها حقيقة ؟ .. هل هى الانسانة التى يرتبط بها بقية عمره ؟ .. لماذا تهاوت من عليـــاء كان يضـــعها فيـــه ؟ انهما فى كل لقـــاء يتحـــدثان عن أبيهـــا ، وعن أسرتهـــا ، وكان فى كل الأحوال مبهورا بكل ما تحكيه .. الرحلات السنوية الى أوروبا . الدخل فى البنوك . المشاريع الجديدة .. حظوة المستشـــار عند المسئولين ودعـــوته باستمرار لحضور الاحتفالات الرسمية لا فى الإسكندرية فقط .. وانما فى القاهرة أيضـــا . لم يكن مبهورا بمســـتوى المعيشـــة ولا بالأموال المكدسة فى البنوك .. فأخته أحلام تمتلك أكثر من ذلك .. بل لا يمكن مقارنتهم بها .. انبهاره هو من مكانة الأسرة .. فهل هذا هو الذى لا يستطيع بكل أموال أخته أن يدخل فى مقارنة معهم ؟!

هو الطالب فى الكلية البحرية أعلى رتبة فى عائلته .. عنده حقيقة يجب أن ينتبه اليها .. أو لعله قد انتبه اليها بعد هذا اللقاء الأخير .. ماذا سيفعل سيادة المستشار ؟ .. هل يستطيع تجاوز القوانين ليعطيه رتبة غير التى يتدرج فيها زملاؤه ؟ هل يختار له مكان التعيين ؟ .. لا فائدة .. كل الخريجين يعملون فى البحر .. فما فائدة الوساطة التى تجعله يعمل فى المحيط ؟!

يعرف أن أخته « منى » قد وصلت الى تلك القناعة منذ وقت طويل .. وان لم تكن تصارحه برأيها .. تمتلك كما كبيرا من

التلميحات ، ومن الاشارات القادرة على أن تقول الرأى · دون تفاصيل !

لا ينسى قولها بعد عودته فى تلك الليلة :

« مين تانى خطب مروة » ؟!

تركها دون أن يحكى لها شيئا ·· تظاهر بسماع الموسيقى الصاخبة ··

أحس بها تروح وتجىء أمام باب حجرته ·· وتوقع أن تدخل لتصارحه بالمزيد ··

أيقن أنها تشاركه أفكاره !!

- ٢٢ -

متى يحين الزمن الذى تأتى فيه اليه ، وترحل دون أن يغمض عينيه ؟!

يقبع داخل زورقه القديم ، يتأمل لقاء كل ليلة بين السماء والقمر ، ووجه البحر .. القمر بدر .. وصورته منعكسة ، متراقصة مع صوت هدير الموج .. ضياء ما بعده ضياء .. هل تراها تتراقص هى أيضا فى أحضان ما يتسلل من نور القمر الى الأعماق البعيدة ؟.. هل تفكر فيه ؟ .. قالت له انها تسمع نداءه .. وهو لا يكف عن النداء .. تعالى يا عروسى .. ملمس شفتيك ما زال نائمـــا فوق شفتى .. طراوة صدرك العارى أينعت الحياة فوق صدرى .. هل كنت تعتذرين ؟! .. لا يا روح القلب .. عندما احتضنتك .. احتضنتينى .. أصبحنا كيانا واحدا .. لا يهم أنك بنت البحر وأنا ابن الأرض .. لا يعذبنى غير أنك لا تريدين أخذى معك .. دائما تقولين ان الموعد لم يحن بعد .. فهل حان موعدى ؟!!

هدهدته نسمات البحر .. أغمض عينيه للحظات خاطفة .. أحس بيدها تطبق بكل الحنان على يده .. سمع اللحن ينساب من شفتيها :

« يا حبيبى .. الليلة يتحقق حلمنا » !

انتفض بالنشوة . ضمها بين ذراعيه . عرفت شفتاه الطريق

الى شـــفتيها ‥ انتظرت حتى التصق خده بخدها · قالت كأنما تلتقط أنفاسها :

« وافق كبيرنا على أن تأتى الى مملكتنا » ·

صاح من أعماقه :

« متى » ؟

قالت فى دلال جديد عليه :

« فى الموعد الذى تريده أنت » !

تسابقت الأسئلة فى رأسه · هل يذهب دون أن يخبر أحدا · لن تغفر له ابنة أخته رحيله دون علمها · لن يشفع له رحيله مع معشوقتهما معا ‥ عروس البحر ‥ والناس ؟! من ســـيكون مرشدهم فى هذه الدنيا القاسية ؟ ‥ هل يفتقدون كلامه الذى اعتادوا أن يسمعوه كلما قابلوه فى كل مكان ؟ ‥ اللهم بلغت اللهم فاشـــهد ‥ اعذرونى أنا ذاهب الى أعماق البحـر ‥ علهم يكونون فى حاجة لى ‥ ولكلماتى ‥ واسمعوا ‥ سأتزوج ‥ أين لكم القدرة على أن تروا عروسى ؟ · ها هى الى جوارى ‥ فى احضانى ترجونى أن أختار الموعد ‥ وداعا يا ابنة أختى ‥ وداعا يا كل الناس !

تضع رأسها فوق كتفه · يسبح الشعر فى الليل :

« يا حبيبى ‥ هل تجىء الليلة » ؟!

يقول كالمحموم :

« نعم ‥ نعم ‥ الليلة » !

ابتعدت عنه · قالت وهى مختنقة بالدموع :

« أغمض عينيك ‥ سأرحل وحدى فى البداية حتى أعد كل شىء ‥ مهلة صغيرة من الليل وأعود ومعى كبيرنا لنأخذك معنا ‥

كنت اعـرف أنك ستلبى النـداء كما لبيت أنا النـداء ٠٠ أغمض عينيك ٠٠ انتظرنى ٠٠ سأعود »!

طول عمره ينتظرها ٠ أحلام تعرف أنه رآها أول مرة عندما سقط من الزورق فى عرض البحر ، يوم « النوة » السوداء اياها التى اجتاحت الميناء الشرقية وكل الساحل منذ سنوات ٠ قال الجميع انه غرق ٠٠ مات وعادوا الى الشاطىء ينعونه لأهله ولكل الناس ٠

يومها ٠ اختنقت أنفاسه ، وهاجمت المياه جوفه ٠٠ كانت يداه لا تساعدانه على مقاومة الأمواج الصاخبة وضرباتها القاسية ٠ كلما حاول أن يقب فوق ٠٠ شدته دوامة لعينة بعنف الى تحت ٠٠ يأس من النجاة والدوامة تأخذه الى الرمال البعيدة التى لم تطأها قدم ٠٠ أيقن من النهاية ٠٠ نطق الشهادتين فى سره ٠٠ وعلى غير ما يتوقع أحس بذلك الكيان الذى التصق به ليقاوم الدوامة معه ٠٠ ويدفعه الى السـطح الصابث ، الماجن ٠٠ كان خائر القوى ٠ مستهلكا ٠٠ فوجد العون لأن تصبح رأسه أعلى المياه ٠٠ لأن يتنفس ٠٠ يعيش ٠٠ ولم يتركه ٠٠ صاحبه حتى رمال الشاطىء والأمان !

يقسم لابنة أخته أنه قبل أن يفيق ٠٠ رأى ذلك الكيان الذى انتشله من الغرق وأنقذه من الموت ٠٠ كيان نصفه بشرى والنصف الآخر ذيل سمكة كبيرة ، هائلة ٠٠ كانت عروس البحر !

يوم « النوة » أنقذتنى ٠٠ وهى الليلة تنقذنى !

هل سمعت يا ابنة أختى عن مثل ذلك العشق من قبل ؟!

لا أيوب وناعسة ٠٠ ولا قيس وليلى ٠٠ خالك صاحب أعظم وأروع قصة عشق فى الدنيا كلها !

وصيتى يا أحلام أن تحكى حكايتى للناس بعد رحيلى ٠ قولى

لهم ان عروس البحر كانت تزوره فى الليل ·· تنام فى أحضانه حتى مطلع الفجر ·· وبعد عودتها الى عالمها كانت لا تطيق بعاده ·· تعود فى الصباح الباكر بجناحي « النورس » الأبيض ، الجميل ·· تحلق فوقه ·· وتناديه ·· وتناجيه !

وصية أخرى ·· ياليتك يا أحلام تحتفظين بزورقى ·· أحضرى الرمال وادفنيه تحتهـا حتى يبقى شاهدا على حكايتى مع عروس البحر ·· ومن يعرف ؟ ·· فربما أحتاج اليه فى يوم من الأيام ·· ربما أعود ·· ولا أريد غير زورقى فى حياتى الجديدة !

قالت لى وصدرها فوق صدرى :

« الليلة يتحقق حلمنا » ·

كانت بحاجة الى مهلة من الليل تعد فيها طقوس العرس ·· وبعدها تعود ·· لن تجىء وحدها ·· سيصحبوننى معهم الى العالم الذى طالما اشتقت اليه ··

افتح العينين ·· اغمضهما ··

لن أمل الانتظار ·· أدمنت الانتظار عمرى كله ··

أنتظرك ·· أنت الحلم الذى أخذته فى أحضانى ·· عرفت مذاق الشفتين وتمتعت بطراوة الصـــدر ·· ذبت مع أنفاسها ، وهمساتها ، ونغماتها الآتية من الأعماق ··

حينما فتح عينيه ·· كانت قد اختفت ··

وحينما اغمضهما ·· لم تعد !

فى الصباح وجدوه راقدا فوق الرمال · ممددا دون حراك وان تخشبت يداه على حافة الزورق ··

كان مبتسما ·· رأسه ناحية البحر !!

- ٢٣ -

لا يمكن أن يكون الاحتفال بالخطوبة بتلك الصورة ؟ ٠٠ طاوعته فى ليلة من ليالى مجده ـ كما يقول ـ ولم يكونا وحدهما ٠ كان معهما لفيف من الأصدقاء ٠ الفنانين ومن محبى الفن ٠ أعلن خطبته لها ، وصفق الجميع ، وبادروا بالتهنئة ، وتساءل أحدهم فى خبث عن سبب عدم وجود الدبلتين ؟ ٠٠ فقال ٠ عادل مرسى ٠ إن كل الأمور التقليدية ستتم فى ليلة أخرى تجمع الى جانب الصحاب ٠٠ الأهل والأحباب !

هذه « الأمور التقليدية » هى المشكلة الحقيقية ٠٠ مات خالى « عبد الله » والأسرة كلها فى حداد ٠ كانت أختها أحلام فاقدة الوعى ٠ ووقف « عزمى » ليتقبل العزاء والدموع فى عينيه ٠ آخر الليل نظرت اليه نظرة فهمها على الفور ٠٠ كانت النظرة تقول له بالتحديد ٠٠ « جحا مات ٠٠ ارتاح وأراح » !

عرف « عزمى » حكاية الحفلة واكتفى بكلمه « مبروك » ٠٠ كانت تريد شرح كل شىء ، وأنها ما زالت غير مقتنعة تماما ٠ لا تعرف سبب تسرع « عادل » وربطه بين حبهما والخطوبة ٠٠ لن تقول انها لا تريده ٠٠ ولكن شيئا غامضا يلف مشاعرها كالضباب ٠٠ كان هذا الضباب موجودا قبل أن يخبرها بموضوع زواجه الأول ٠٠ هل يمكن أن يفشل زواج لأن الزوج فنان والزوجة محاسبة ؟ ٠٠ لا تعرف ٠٠ أحست ، على غير ما ينتظر ، أنها

متعاطفة مع تلك الانسانة التى يقول ان اسمها « عايدة » ·· لم تشعر بالغيرة ·· تمنت لو تلتقى بها ·· هل يوافق على ذلك اللقاء ؟!

فوجئت بانزواء « عزمى » ·· ناوشـــته ·· انفجر بالكلام وكأنه كان فى شوق لأن يسمعه أحد :

« أنا حقيقى حزين لموت خالى · ما كانش عايش معانا · لكن ترك فراغ كبير · طول عمرنا كنا ظالمينه · نسـينا انه كان ممنوع ·· ما طمعش فى حاجة ·· وكنا بنخاف من سيرته وحكايته فى الشوارع ·· لازم أعترف لك انه كان مشكلة بالنسبة لى ·· وأقسم لك انى عرفت مدى غلطى قبل ما يموت ·· صدقينى يا منى يا أختى ·· مروة ضرغام· كانت حتبقى أكبر مقلب فى حياتى · دى حتى مالهاش شخصية و ·· » ·

قاطعته فى فهم :

« ده كلام خصام » !

واصل فى شىء من الغضب :

« أنا سبتها آخر مرة من غير ما أعتذر ·· كلام فاضى ·· لازم أشوف مستقبلى الأول ·· وكمان ·· كمان أحلام وانتى ·· واحدة أرملة والثانية على وش جواز ·· وأنا الراجل بتاعكم انتم الاثنين » !

علت ضحكاتها لتقول بصراحة :

« ما شاء الله ! ·· انت بترسم على ايه بالظبط » ؟!

تركها ــ كعادته ــ ليدخل حجرته · حينما تضعه فى الزاوية بين حائطين ·· يهرب من مواجهتها · اشتعلت الأفكار فى رأسها · أخوها « عزمى » حسب حسبته مع عائلة « ضرغام » ووجد أنها

خسرانة . مطاردة « مروة » له لكى يبـادر بخطبتهـا دفعته لأن يتراجع .. لابد وأنه فهم مطامع سيادة المستشار . جاه وسلطان « أحلام » يتدخل لصالحه على عكس ما كان يظن فى البداية .. ليست الحكاية حكاية وضع اجتماعى .. انه وضع اقتصادى أيها السادة . فهل .. هل يفكر « عادل مرسى » بنفس الطريقة » ؟ .. مصيبة كبيرة .. هل توصلت فجأة الى أحد أسباب الضباب الذى يلف مشاعرها ؟!

قلبى معك يا أحلام يا أختى .. أنت فى هذه الدنيا وحيدة .. وفى الحقيقة أنك لست وحدك . كل شىء عنـدنا ، وعند الذين يعرفوننا .. يبدأ منك .. وينتهى اليك !

فاقدة الوعى .. لكنهـا سـارعت فى الليلة التـالية لوفاة الخال .. باستدعاء رجال من « الجمع » ليذهبوا معها الى مكان الزورق على رمال « الأنفوشى » .. أمرتهم بأن يحفروا الرمال حفرة عميقة .. بادروا فى الحفر وسـط الظلام والسكون .. كانت ترقبهم وكأنهم يأتون عملا خالدا .. أشارت لهم بأن يدفنوا الزورق ويغطوه بالرمال .. قالت لى فور عودتها :

« دى كانت وصيته » !

سألتها فى دهشة :

« وصيته دفن الزورق .. بس » ؟!

ردت والدموع فى عينيها :

« فى حاجات تانيـة .. لكن موش وقتـه دلوقتى . موش عايزاكى انتى وعزمى تسـيبونى لحظة .. كويس ان عزمى فى أجازة .. موت خالى مخلينى قلقانه على كل اللى حيحصل .. ياه .. للدرجة دى كان مهم فى حياتى .. فى حياتنا كلنا » ؟!

اقتربت منها . تباعدت . ! استقر رأيها فداهمتها بالسؤال :

« أحلام ٠٠ هو فى سر بينك وبين المرحوم خالى ما أعرفوش » ؟!

لم تنزعج ٠ ألقت بنفسها فوق أقرب مقعد ٠٠ أشرق بياضها وجمالها رغم اللون الأسود الذى تتشح به ٠ انسابت معزوفة من بين شفتيها الورديتين :

« أحكيله ايه ولا ايه ؟ ٠٠٠ كل اللى تعرفوه انه كان خالكم ٠٠ وانه كان صياد ٠٠ وانه غاوى الكلام والخطب فى الشوارع ٠٠ لكنه فى الحقيقة كان حاجة تانية خالص ٠٠ حاجة ما يصدقهاش عقل ٠٠ بس أنا كنت مصدقاه ٠٠ وعارفه هو تعبان من ايه ؟ ٠٠ كل اللى فى راسى كان بيعرفه ٠٠ وكل اللى فى راسه كنت بأعرفه ٠٠ يمكن ٠٠ يمكن من غير ما كل واحد مننا يقول للتانى ٠٠ تسمى ده ايه ياللى درستى فى الجامعة ؟ ٠٠ أنا ما أعرفش الاسم ٠٠ لكن حاساه ٠٠ شاعره بيه ٠٠ بيلف ويدور جوايا ٠٠ عارفه يا منى موت خالى معناه ايه ؟ ٠٠ معناه انى حاموت أنا كمان ٠٠ حاموت قبل الأوان !

تسارع باحتضانها :

« بلاش الأفكار السوده دى ٠٠ أنا موش حاكلمك عن موت الغاليين علينا ٠٠ لكن حاكلمك عن اللى لازم نعمله ٠٠ نحاول أننا نتماسك ٠٠ نواصل ٠٠ طب فين أبونا ٠ ؟ ٠٠ فين أمنا ؟ ٠٠ يرضيك أكون أنا وعزمى وحدنا » ؟!

طال عناقهما ٠٠

سمعت « أحلام » صوت خالها يأتى من بعيد ٠ لمحته بصورته الحبيبة لنفسها يقترب منها ٠ منهما ٠ يداه مبسوطتان أمامه ٠ قال قبل أن يختفى فى لمح البصر :

« خليكم فى حضن بعض » !!

- ٢٤ -

صادفته ورقة خضراء عالقة بجزع الشجرة الملقى أمامه · قال لنفسه فى سخرية وخطواته تتحرك فى قلق بين الأخشاب والرمال ·· « الناس لم يعودوا يأكلون «التوت» ·· لا الأحمر ·· ولا الأبيض ·· راحت عليه كما راحت على « البمبوزيا » ·· الدود هو الذى يبحث عن ورق التوت · يأكله فى عبط دون أن يعرف مصيره المحتوم حين يصبح خيوطا من الحرير يلهفها الآخرون ·· دود غبى ، مغفل ، مسكين !

أنا لست دودة قز ·· أنا البحراوى الصغير ··

ارتفع صوت مساعده « النجرو » ويده على المنشار الكبير :

« انت بتقول ايه يا بحراوى » ؟

كاد يضربه على رأسه بالمطرقة :

« وانت مالك ؟ ·· حتفهم ازاى ؟ ·· انت دودة » !

علت ضحكات « النجرو » :

« والله أحسن من الاسم اللى بتنادونى بيه وموش فاهمه ·· يمكن عشان سمارى الزايد ؟ ·· دودة أحسن » !

جاوبه « البحراوى الصغير » الضحكات · طول عمره يقطع أخشاب شجر التوت ولم تقفز الى ذهنه حكاية « الدود » الا اليوم ··

وتكتمل الحكاية بمواجع الحرير ·· ومن يأخذ الحرير ·· وتتجسد الملعونة التى نهبت أموال أخيه أمام عينيه · فيبحث عن المنشار تارة وعن المطرقة تارة أخرى ·· مات « جحا » خالها كما يموت كل من يعرفها ، ويجاورها ·· حتى ولو من بعيد لبعيد ·· يأخذ حقه منها ويبتعد عنها ·· تغور بجمالها النحس ·· حار ونار فيها الحرير بائعة الفطير » !

توقف فجأة ليسأله :

« انت موش ملاحظ حاجة في الرملة » ؟!

فتح « النجرو » فمه على آخره متسائلا :

« الرملة ؟ ·· مالها الرملة ·· » ؟!

قال وهو يحرك قدمه مطوحا الرمال فى الهواء :

« شكلها موش طبيعى ·· زى ما تكون مقلوبة » !

ظل فمه مفتوحا :

« ومين حيقلبها ·· حياخد ايه يعنى » ؟!

قال وقد انحنى ليعبث من الرمال بين يديه :

« موش ياخد ·· يدفن » !!

قال « النجرو » وهو يفعل مثله :

« حيكونوا دفنوا خالها هنا » ؟!

تملكه الرعب · اكتفى بالذهاب الى السرادق ولم يتبع جنازته حتى المدافن فى « المنارة » المرقد الأخيرللمبسوطين · ولو حفر فى هذا المكان لن يعرف ما يجده تحتها ·· ولن تمر الحكاية دون سؤال وجواب · لن يسكت « النجرو » وسيقول كل شىء فى الشوارع ، والمقاهى ، والبيوت · هل يرقد « جحا » هنا ؟ ·· أوهموا الناس

بانهم دفنوه فى « المنارة » ثم جاءوا به خلسة الى هنا ·· يفعلونها الملاعين !

يجب أن تنتهى الحكاية عند هذا الحد ·· لو أراد الحفر لمعرفة السر فليكن ذلك فى جوف الليل ·· هل تخفى « بائعة الفطير » كنوزها هنا ؟ ·· وأين زورق خالها الذى كان يقبع فيه كل ليلة ؟! ·· اختفى الزورق ·· ليس فى مكانه المعتاد ·· ماذا حدث ؟

لابد أن أعرف السر ··

سأعود فى الليل لأحضر الرمال وحدى ··

انتبه الى صوت « النجرو » الذى يقول ببساطة :

« عارف ايه المدفون هنا ؟ ·· فلوكة جحا القديمة » !

كاد يقع من طوله :

« وعرفت ازاى » ؟!

واصل بساطته :

« كانت هنا ·· ودلوقتى موش باينة ·· كل الفلايك القديمة بيدفنوها هنا » !!

أتاها مرسال من العمة « بدرية » ·· واعتقدت أنه جاء نيابة عنها لتقديم العزاء لوفاة خالها « عبد الله » هل حضر ابنها اسماعيل الى السرادق ليلة الوفاة ؟ هى لم تكن هنـاك بالطبـع ·· وأخوها « عزمى » لا يعرفه ·· ربما يكون قد شد على يده ، مثلما يفعل مع كل القادمين ولكنه لم يتبين ملامحه ؟ ·· سنوات طويلة منذ الطفولة وهما لم يلتقيا ·· ولا تعتقد أن « عزمى » يسعى بعد ذلك للقـاء « اسماعيل » !

لم تخبره بحكاية العرض الذى جاءت به العمة « بدرية » ٠٠ وكيف أنها تريدها زوجة لابنها « اسماعيل » مقاول الكهرباء ٠٠ بعد بختها الذى خاب مرتين ٠٠ وهو الوحيد الذى يعرف كيف يصون جمالها ٠٠ وهى رغم كل شيء بنت خاله !

قال المرسال كلاما مختلفا ، وتلكأ فى انتظار الجواب :

« عمتك بتقولك البقيـة فى حياتك ٠٠ وبتقولك ماجتيش فى ميعادك ليه » ؟

اندفعت فى غضب :

« وهى ماجتش ليه » ؟

قال المرسال فى خوف :

« عمتك عيانه ٠ راقدة فى السرير » !

تراجعت ٠ قالت بعد لحظة خاطفة :

« طب اسمع كويس الكلام اللى حاقوله لك ٠٠ بلغ عمتى ان الظروف دلوقتى ماتسمحش ٠ وبلغها انها تشوف بنت حلال تانية تكون بنت بنوت ٠ بلغها ان بنت أخوها ماتنفعش ابنها اسماعيل ٠٠ عرفت حتقول ايه ؟! ٠٠ مع السلامة » !!

تنهدت بعد انصرافه فى ارتياح ٠ فكرة « المرسال » وفرت عليها هم الذهاب الى بيت عمتها ٠٠ وهم قدرتها على مواجهتها ٠٠ هذا الكلام الذى سيصل اليها لم تكن تستطيع قول كلمة واحدة منه ٠ الآن هى مريضة وفى السرير ٠٠ من أين جاءت بالعافية لتأتى اليها فى صحبة ابنها وتقول لها وكأنه أمر واجب النفاذ : « اسماعيل طالب ايدك ٠٠ فين الشربات ؟ ٠٠ فين الزغاريد » ؟!

تحاول التحكم فى أنفاسها اللاهثة ٠٠ تعاود التفكير ٠٠ هل قست على عمتها ؟ ٠٠ ماذا سيكون رد الفعل عندما يصل اليها

المرسال ؟ .. بالأمس القريب فقدت خالها أعز الحبايب .. فهل تفرط فى عمتها رائحة الحبايب ؟ .. لا تعرف .. ولكن الحكاية منذ بدايتها كانت غير معقولة .. هل تقول ثانية انه الطمع ؟ .. هل تقول ان الخطر لا يعلنه الأغراب فقط !؟

تهدأ أنفاسها . تتمالك نفسها ..

تداهمها صورة الولد الذهبى مصطفى والتاج الأحمر فوق رأسه ..

سرها الحقيقى الذى لا يعرفه أحد .. ولن تبوح به لأحد حتى الموت ..

تراه جالسا فوق الصخرة شاردا نحو الأفق .. تعطيه الورقة المكتوب فيها بيت الشعر .. يواعدها على اللقاء .. يختفى .

ترى عروس البحر .. وتختفى .

ينطلق النداء من أعماقها :

« أين الأحباء » ؟ !!

- ٢٥ -

هل هى مصادفة ، أم أنه سعى للتعرف عليها فى تلك الليلة التى ذهبت فيهـا الى مسرح « سـيد درويش » لحضور العرض المسرحى للفرقة القادمة من القاهرة ؟

كانت تعرف اسمه ، ورأت صورته فى الجرائد ، ولكنها لم تلتق به من قبل ، لم تتعرف عليه عن قرب ٠٠ هو مدرب لفنون الرقص الشعبى ، ورغم أنه من الاسكندرية فقد تحققت شهرته فى العاصـمة ، ودائما يذكر اسمه فى المهرجانات السنوية ، وغير السنوية ٠ قال وهو يمد يده ليرغمها على أن تشد عليها :

« الفنانة منى ٠٠ يشرفنى انى أتعرف عليكى » !

غالبها الخجل :

« فنانة مرة واحدة ٠٠ أنا لسه ما عملتش حاجة » !

قال وعيناه على عينيها فى ثقة :

« حتعملى ٠٠ وبالذات فى الديكور » !

انتبهت الى أن يدها ما زالت فى يده ، وجدته يشدها ناحية المقهى الملحق بالمسرح ٠ دعاها للجلوس ، وجلس قبل أن تجلس ٠ تحول الغضب الى احساس بالاقتحام ٠ ماذا يريد منها ؟ ٠٠ وكيف عرف اسمها ؟ ٠٠ لابد أنه من شلة « عادل مرسى » ٠٠ وان كان لم يذكره بكلمة واحدة ٠ قال وهو يرتشف القهوة :

« كامل شريف لما يقول انك حتعملى حاجه ·· يبقى حتعملى ··
أنا شفت كل مشاريع التخرج وبالذات فى الديكور ·· شغلك
فيه حاجه » !

قاومت ضحكاتها :

« حاجه زى ايه يا أستاذ كامل ·· أنا يدوبك ناجحة بجيد » !

لاحظت أن « الدبلة » غير موجودة لا فى أصابع يده اليمنى ،
ولا فى أصابع يده اليسرى · قالت لنفسها ·· لا مانع من مغامرة
جديدة · مكتوب عليها من يوم أن التحقت بكلية « مظلوم باشا »
أن تتحدد علاقاتها مع الفنانين · انتظرت حتى قال فى حماس :

« احنا ممكن نشتغل مع بعض » !

تصاعد السؤال ثانية الى رأسها ·· « ماذا يريد منها » ؟ ··
وما حكاية عبارة « وبالذات الديكور » التى رددها أكثر من مرة ؟ ··
ثم ها هو يدخل فى الموضوع مباشرة · لابد أنه سمع عن رغبتها
فى تكوين فرقة للفنون الشعبية ، ولابد أنه لم يسمع أنها تراجعت
بعد أن عارض « عادل مرسى » الفكرة ·· وقال ان مثل هذه الفرق
مسـئولية الدولة ·· وأن نجاح فرقة مثل « رضا » لا يمكن أن
يتكرر ·· بل انهم انتهوا الى تبعية وزارة الثقافة ·· ان لم يكونوا
قد انتهوا بالفعل · لا مانع فى أن تجاريه فيما يقوله · أعجبتها
طريقته فى الكلام ، وان استبعدت وضعه فى مقارنة مع « عادل » ··
الاثنان مشهوران ·· ولكن شتان بين فنان وفنان · قالت بعد أن
تظاهرت بانشغالها فى احتساء القهوة :

« أنا أشتغل معاك ؟ ·· ولا أنت تشتغل معايا » ؟!

لاحظت بوضوح ارتباكه · فتح فمه ، ولم يضحك · هز رأسه
بنية الكلام ، ولم يتكلم · وجدتها فرصتها لتلاعبه :

« أنا معايا ميزانية كفاية ·· بس المشروع لسه ما اكتملش » !

قال مغالبا ارتباكه :

« طبعا أنا موش خالى شغل ·· أنا على درجة مدير عام ·· ومسئول عن الفنون الشعبية فى اسكندرية ·· تبقى انتى اللى حتشتغلى معايا » !

اندفعت قائلة :

« وأنا ماعنديش مانع ·· تحب نبتدى من امتى » ؟!

التقط أنفاسه :

« من العمل اللى حيكون فى العيد القومى ·· حتاخدى نسخة من فقرات العرض ·· وبعدين تحضرى معانا التصميمات ·· وبعدها البروفات ·· وبعدها ·· » ·

قاطعته فى حيرة حقيقية :

« أستاذ كامل ·· اشمعنى أنا » ؟!

لم يرد عليها · قام ليشير أن مدة الاستراحة قد انتهت · تلكأ حتى تقدمته الى داخل الصالة ولم يدخل · انسحب ليتوجه الى نفس المكان الذى كان جالسا فيه قبالتها · جميلة وذكية ·· المعادلة الصعبة تتحقق فى هذه الانسانة · لا يعيبها الا علو رنة ثرائها · يعرف من هى ومن هى أختها · ويعرف أن « عادل مرسى » يشيع أنهـا خطيبته ·· ويعرف أن عقله مقتنع تمـاما بهـا ·· ولا تنقصه الا العاطفة حيالها · فهل داهمته بوادر المحب ؟ ·· هل هو على استعداد للمنافسة ؟ ·· هل يفكر فى أن تصبح زوجة له ؟ ·· معقول ؟!

انتظر حتى انتهى العرض · اعترض طريقها :

« ما عرفتش رأيك » ؟!

قالت ببرود :

« أنا حاتصل بيك . تصبح على خير » !

اتسعت ابتسامتهـا وهي تقود سيارتهـا بالقرب من ظـلام البحر . الاختيار يفرض نفسه عليها . منذ وقت بعيد وهي تتمنى أن تمارس الاختيار .. حريتها .. « عادل » وضعها أمام الأمر الواقع . سلك الطريق التقليدى .. وهذا ما أجبرها أن تتردد ، وتتراجع ..

الآن ينتظرها عالم مختلف . ما المانع فى أن تصبح مهندسة ديكور ؟ .. لم يكن فى نيتها العمل كموظفة .. فهى ليست بحاجة للمرتب ، ولا تستطيع تحمل المواعيد والأوامر . الاختيار لن يكون فقط بين الرجلين .. عادل وكامل .. الاختيار بين أن تستمر فى حياتها بالطريقة التى تجعلها مجرد ديكور مزخرف ، غالى التكلفة ، وبدون فائدة .. وبين أن تكون هى مبدعة ذلك الديكور ، مهما كان ، لتستيقظ الفنانة فى أعماقها .. وتقدم للناس ما يحترمونها بالفعل من أجله ؟

تلاشت الابتسامة من فوق شفتيها ..

تسربت نظراتها الى ظلام البحر !

● ●

جاء من يقول لها ان «جحا» ظهر فى شوارع القاهرة . ما هذا الكلام !؟ . لابد أنه انسان آخر يفعل نفس ما كان يفعله خالها « عبد الله » قبل أن يموت ؟!

أكثر من شـخص من « الجمع » وخارجه .. يؤكد وقوف « جحا » فى ميدان « التحرير » ، وفى ميادين « مصر الجديدة » .. وأمام « الحديقة الدولية » فى « مدينة نصر » .. وصوته يرتفع مطالبا كل من يسمعه العودة الى الشجاعة .. الى المعدن الحقيقى للشعب المصرى .. الى التخلص من موال « وأنا مالى ؟! » .. ينتهى

من مكان ليذهب الى مكان آخـر ·· لا يكترث لتعليقـــات أنـه « مخبول » ·· وأنه « يؤذن فى مالطة » ·· ولا يهتم بأن يلقوا القبض عليه أكثر من مرة ·· ثم يفرجوا عنه لأنه لا يمثل خطرا حقيقيا !

ارتعشت أوصالها ··

هل يمكن أن يكون خالها ؟

لابد أنه شخص يشبهه ، أو لعله انسان رآه قبل أن يموت وأعجب به ، فأراد أن يقلده ·· خالها عبد الله لم يذهب الى القاهرة الا مرة أو مرتين فى حياته ·· فكيف يظهر فيها الآن ؟!

لماذا لا يتركونه فى حاله ويترحمون عليه ؟!

هل ·· هل تسافر الى القاهرة لتتأكد بنفسها ؟ ·· تقول انها مسافرة لانهاء بعض مشاكلها فى العمل ·· لا تقول السبب الأصلى ·· لو قالته لشكوا فى سلامة عقلها ·· يأتون لها بالخبر المفزع ، ويكتفون بعد ذلك بالفرجة عليها ·· وعلى آلامها !

يا ناس حرام عليكم ··

تكاد تناديه لكى يأتى وينقذها كما كان يفعل دائما ··

يتعانق حلمه مع حلمها ·· يأخذها الى الدنيا الثانية التى اختطفوها منها ·· تعود كما كانت صغيرة ·· قادرة على البداية من جديد ·· مهما طال الزمن وقسا عليها ··

تسمع صوته ·· نفس النبرات ·· هذه هى طريقته التى يتحدث بها عندما يكون معها ·· يكونان وحدهما ·· يترقبان السر الذى لا يعرفه غيرهما ··

انه حتى يناديها باسمها ·· نفس النداء ··

« اسمعيني يا أحلام » !

تزايدت ضربات قلبها .. وزاغت عيناها في هلع ..

لا يهم أنه مات .. المهم أنهم رأوه .. يؤكدون أنهم تحققوا منه ، وسمعوا صوته الذى يعرفونه ..

هل فعلت عروس البحر معجزة ؟ !!

- ٢٦ -

واجه زميله ، وصديقه « هيثم » فى جرأة ، وبصراحة عما وصلت اليه علاقته مع شقيقته « مروة » ٠٠ لا يمكن أن تواصل الضغط عليه دون هوادة ٠ وفى كل لقاء تخبره عن تقدم شخص جديد لخطبتها ، وهو لا يفضل هذه الطريقة التى لم يكن يتوقعها من انسانة مثقفة مثلها ٠ أحس أن « هيثم » قد تخلص من حياده الذى احتفظ به طـول الوقت ، أو تظاهر به ٠ فقد أيد موقف « مروة » ، فهناك الذين يريدون خطبتها فعلا ٠٠ وعليه أن يحدد موقفه ٠٠ حتى تستطيع هى تحديد موقفهـا ٠٠ والا فلا داعى لاستمرار العلاقة بينهما حتى ولو كانت فى شكل صداقة !

تركه وقد أيقن أن علاقته مع « مروة » قد انتهت بالفعل ٠٠ ان لم تكن علاقته مع « هيثم » نفسه قد انتهت أيضا ، حتى ولو كان يشاركه حجرته فى مبنى الكلية البحرية ٠ داهمته أفكار شيطانية فى أن يتلاعب بهما معـا ٠ كان من الممكن أن يعاود ذاتهـا ٠٠ فهو لن يرحمه ٠ يعرف أنه يعيش قصة حب من طرف واحد مع « بسمة » بطلة نادى « اسبورتنج » والجمهورية كلها فى سباحة المسافات القصيرة ٠ كان يطلق عليها لقب « الفتاة الاغريقية » ٠٠ لتناسق جسدها الخرافى ، وطولهـا الفـاره ولجمالهـا الأوروبى الأفريقى ٠٠ فهى من أب مصرى أسمر وأم يونانية شقراء استقرت فى الاسكندرية ٠ تقابل معها عدة مرات فى صحبة « هيثم » ، ولم

يكن يستطيع مقاومة شعوره بالغيرة منه · من الصعب مقارنة « مروة » مع « بسمة » ·· لا في الجمال فقط ·· وانما في تمتع « بسمة » بالشخصية القوية ·· قوة جسدها ، وهوايتها للمسرح ، بعكس « مروة » التى تتعامل مع خلق الله على أنها تحفة لا يجب الاقتراب منها ، وأنها ، وهذا هو الأهم ، ابنة سيادة المستشار وثيق الصلة بكل المسئولين !

سقطت « مروة » من كل حساباته ، وبحث عن كل العيوب التى كان غافلا عنها ·· وأصبحت مشكلته الجديدة ·· هى كيفية الوصول الى « بسمة » ؟!

لن يكترث لاعتراض « هيثم » أو اتهامه له بالخيانة ، ولن يحفل بما ستقوله ، أو تفعله « مروة » عندما تعرف تخليه عنها من أجل فتـاة أخرى ·· ومن يعرف ·· فربما تقوده هـذه الأفكار الشيطانية الى حب حقيقى ·· فالحب هو الحب ·· مهما كان السبيل اليه !

« بسمة » ·· تعانى من كثرة المعجبين بها ·· أحدهم « هيثم » وقد أعلن ذلك ·· أما هو فلم يعلن اعجابه بعد ·· لابد أن يطيل التفكير فى الاسلوب الذى سيتبعه معها حتى لا ينضم الى طابور المحبين من طرف واحد ·· حتى يفوز بها ·· حتى تكون له وحده !

قفزت « منى » الى ذهنه · يجب أن يستعين بها · يحكى لها كل التفاصيل ·· يضيف أن والد « بسمة » هو صاحب سلسلة تلك « البوتيكات » لبيع الملابس الجاهزة فى شارع « سعد زغلول » ، وأن أمها اليونانية تعاونه فى عمله ·· وهما بهذه الصورة يمكن التفاهم معهما بكل ثقة ·· لأنه شقيق « أحلام » الشهيرة بالجاه والسلطان !

استمعت له فى صبر · ثم قالت فى النهاية :

« يعنى انت موش بتحبها ·· عايز تضيع الحب ده ·· ؟! » ·

حاول الدفاع عن وجهة نظره :

« أنا بأختار ·· ده حقى » !

أشعلت سيجارة ، قالت وهى تنفث دخانها فى وجهه :

« طبعا عايزنى أروح معاك النادى ·· وأتعرف عليها ·· وأتكلم عنك ·· حاضر يا سيدى ·· حاضر ·· عارف ليه ؟ ·· عشان اختيارك السابق ما كانش عاجبنى ·· » .

فوجئت به يقول :

« وانتى اختيارك السابق ما كانش عاجبنى » !

تراجعت فى دهشة :

« هو انت عرفت ؟ ·· أنا لسه ما أخدتش القرار النهائى بالنسبة لعادل مرسى ·· لسه بأفكر ·· أما الحكاية الجديدة ·· لأ ·· تلاقيك موش عارف حاجه ·· » !

قال فى عناد :

« لأ ·· عارف » !

تحـــدته :

« عارف انه موضوع شغل ·· عمل استعراضى كبير حاكون مهندسة الديكور فيه ·· عايزه أشتغل فن ·· موش عايزه ألعب زيك ·· ورئيسى فى العمل ·· كامل شريف ·· يعنى ·· مقبول ·· وأقول لك الحق ·· أنا محتاره !

تعالت ضحكاته :

« انتى محتارة ·· وأنا محتار ·· والحكاية موش لعب زى ما أنتى بتقولى ·· انتى خريجة فنون جميلة وحتشتغلى مهندســة ديكور ·· ولازم ترتبطى بالانسان اللى تختاريه ·· وأنا حاتخرج

وابقى ضابط بحرى ولازم ارتبط بالانسانة اللى اخترتها ٠٠ وأنا اخترت بسمة » ! ٠

جاوبته ضحكاته :

« كويس قوى ٠٠ وصاحبة الجلالة ما عندهاش أى فكرة » !

كان يعرف أن « منى » هى منقذته دائمـــا ٠ فمـــاذا عن « أحلام » ؟ ٠٠ هل يخبرها بمغامرته الجديدة ، أم ينتظر حتى يتمكن من الوصول الى بسمة ؟ ٠٠ يعرف أنها دائما تسعد لسعادته، وفى كل مرة تكون جاهزة للبدء فى الطقوس وعلى أعلى مستوى ٠٠ مهما كانت التكاليف ٠٠ من الأفضل أن ينتظر ٠٠ لن يقول لها شيئا ، ويا ليته « منى » تفعل مثلما يفعل !

اعترضت طريقه وقد أضاءت تقاطيعها فرحتها بوجوده فى البيت :

« موش عوايدك ٠٠ ما خرجتش النهاردة ٠٠ ده يوم عيد » ؟!

بادر باحتضانها وتقبيلها فى جبينها :

« عزيزتى أحلام ٠٠ يسعدنى أن أكون معك » !

ابتسمت :

« ومالك بتتكلم كـده زى اذاعة صـــوت العرب ٠٠ ايه الحكاية » ؟!

انتابته المخاوف من أن تكون قد عرفت :

« مافيش حاجه ٠٠ حقيقى » !

سلطت عينيها على عينيه :

« ومروة » ؟!

قال وهو يسرع خطواته الى حجرته هاربا من الاجابة :

« انتهت المقابلة » !!

- ٢٧ -

كان عليه أن يتخذ القرار الصعب ٠٠ ويختار ٠٠

عاطفته التى لا يستطيع مقاومتها ٠٠ أم كرامته التى لا يمكن أن يفرط فيها ؟!

احساس غامض داخله يلح عليه أنها تحبه ، تريده ، وهناك من العلامات ما يؤكد له ذلك ٠ فى كل مرة ينتهى فيها اللقاء الى خلاف بينهما ٠٠ كان ينتظر ٠٠ وكانت هى صاحبة المبادرة ٠ تعود اليه فى كبرياء ٠٠ ولكنها تعود ٠٠ كأن لم يكن هناك أى خلاف ٠٠ وحينما أعلن خطبتهما فى تلك الليلة ٠٠ لم تستطع اخفاء سعادتها ٠٠ ثم تراجعت ٠٠ تتوق للهدف وتعاند فى الوسيلة ٠٠ فليكن ٠٠ لن يفاتحها ثانية ٠٠ يتركها حتى تحدد هى الطريق ٠٠ ولابد أنها ستفعل ذلك فى النهاية !

حينما سمع أنها ستعمل مع « كامل شريف » خاف عليها منه ٠ لم تكن خطته للتعرف عليها طبيعية ٠٠ ولكن لابد أن يعترف له بالذكاء ٠٠ لعب على الوتر الذى غفل هو عنه ٠٠ الفن ٠٠ أن تعمل مهندسة ديكور ٠٠ أن يتسرب اسمها الى الناس ٠٠ أن تصبح مشهورة ٠٠ فهل كان هو مكتفيا بشهرته ، ولا يريد أن تزاحمها شهرة أخرى ؟ ٠٠ ربما ٠٠ وفى الحقيقة أنه لم يكن يفكر بتلك الطريقة ٠٠ مع « منى » كانت عاطفته هى التى تفكر وتصدر

لأحكام ٠٠ هى تعرف من هو « عادل مرسى » ٠٠ وهو يعرف من
مى ٠٠ منذ السنوات الأولى لها فى كلية « مظلوم باشا » شدت
انتباهه بجمالها الفائق ، وقوة شخصيتها ، وذكائها ٠٠ لم يضع
فى حسابه أبدا ما يقولونه عنها ، وعن ثرائها الفاحش ٠٠ هو
ليس بحاجة لذلك الثراء ٠٠ وقد وضع النقاط فوق الحروف
عندما اعترف لها بأنه قد سبق له الزواج ٠٠ وأن هذا الزواج انتهى
الى الفشل ٠٠ فهل أخطأ باعترافه ؟ ٠٠ لا يعرف ٠٠ لعلها من
ذلك النوع الذى يريد الرجل خالصا لا فى حاضره ومستقبله ٠٠
وانما فى ماضيه أيضا ٠٠ اتهمته بأنه دكتاتور ٠٠ فأى صنف
من الرجال يا ترى تريد ؟!

عليه اذن أن يختار كرامته ٠٠

وعليه أن ينتظر حتى يرى نتائج عملها مع « كامل شريف » ٠٠
ربما تصل الأمور الى مدى لا يتوقعه ٠٠ ربما تقع فى غرامه كما
حدث لكثيرات غيرها ٠٠ وربما تكتشف ألاعيبه وتبتعد عن عالمه ٠٠
فهل يتركها فعلا للتجربة ؟

واجبه أن يكون الى جوارها ٠٠ هذا هو المنطلق الصادق
لعاطفته نحوها ٠٠ الفنانة بحاجة دائما لفنان الى جوارها ٠٠
لا للرأى والمشورة فقط ٠٠ وانما لزيادة الثقة بالنفس ٠٠ لتأكيد
الذات ٠٠ وبالتأكيد هذا هو ما تسعى « منى » اليه ٠٠ هذه المرة
يجب أن تكون المبادرة منه ٠٠ لم تعد الحكاية اعلان خطوبة أو
رفضها ٠٠ تغير كل شىء لتتضح أهمية دوره فى حياتها ٠٠
الأستاذ ، والرفيق ، والصديق ٠٠ قبل العاشق ، والخطيب ،
والحبيب !

لن يلف ويدور ٠٠ سيذهب الى عقر دار « كامل شريف » ٠٠
الى مكتبه فى مسرح « كامب شيزار » ٠٠ وهو ليس غريبا عليه ٠٠
كثيرا ما التقيا من قبل وان لم تتعد العلاقة حدود التعارف الى

الصداقة .. وربما يلتقى بها هناك .. وعليه أن يتمالك نفسه ليكون كل الحديث عن الفن فقط .. فهل يستطيع ؟!

رحبوا به فور وصـــوله .. لم يكن « كامل شريف » فى مكتبه .. ولم تكن « منى » هناك أيضا . قالوا له انهما خرجا سويا ويمكنه أن ينتظرهما . انتفضت عروقه رغم كل ما حذر به نفسه شعر بغيرة حقيقية .. تساقطت كل الأوراق الملونة من فوق فروع شجرة الفن.أصبح مثل عاشق متيم يبحث فى يأس عن معشوقته . غادر المكتب فى غضب ظاهر . قبل أن يواجه الرياح الغاضبة مثله والقادمة من البحر .. رآهما معا فى سيارتها .. كانت تتهادى بها تبحث عن مكان تركنها فيه . لماذا يضحكان ؟ .. ماذا يقول لها ؟ .. هل يبقى فى مكانه حتى يرياه على هذا الحال .. أم يسارع بمغادرة المكان والاختفاء ؟!

سمعها تنادى اسمه . أسرعت ناحيته و « كامل » فى أعقابها. قالت وهى تمد له يدها مرحبة :

« جيت فى وقتك » .

قبل أن يرد تدخل كامل شريف :

« عاوزين رأيك .. كنا حنتصل بيك » !

سار ثلاثتهم فى اتجاه المكتب . تعمدت « منى » أن تكون قريبة منه . قاوم أن يهمس باشتياقه لرؤيتها . أطال النظر الى عينيها ليقول كل شيء دون أن يقول كلمة واحدة . تكلم « كامل شريف » عن الديكور ، وعن مواصفاته ، وعن الأشكال التى يتعين على « منى » أن تفاضل بينها . قال رأيه فى غير حماس . هب واقفا بعد فترة طويلة عذبه فيها الاختناق ، وبأنه محاصر . قبل أن يغادر المكتب سمعها تقول :

« حا وصلك » !

● ●

لا فائدة من الكلام . يعرف أنه لا يقدر على مواجهتها ، ويعرف أيضا أنهم لن يمكنوه من الاقتراب منهـا .. من يوم أن فرضت نفسها على حياته وهو يخاف منها ؟ .. يقول خلاف ذلك ، ويكيل الشتائم طالما هو بعيد عنها .. لم تعد الفتاة الساذجة ، الطيبة ، بائعة الفطير .. أصبحت مثل موجـة البحر العـالية ، المدوية ، الصاخبة ، القادرة على أن تجتاح كل ما يقف فى طريقها الهادر ، الغادر !

ومن يكون هو ؟ .. « نجار فلايك » لا طلع ولا نزل .. من يشفع له أنه « البحراوى الصغير » .. ولن يحصل على حقه طالما هو تائه بين القوارب الجديدة فوق الرمال .. والقوارب البالية المدفونة تحت الرمال !

لا سبيل أمامه الا قتلها ..

يتحين الفرصة التى يغفل فيها رجالها عنها . يقتحم عليها وحدتها وينهال على رأسها بالمطرقة ، ثم يقطع رقبتها بالمنشار .. رأسها فى ناحية وجسدها فى ناحية أخرى .. لن يشفى غليله الا فراقها لهذه الدنيا .. لن يعيش عمره فى انتظار الفتات الذى تجود به عليه .. هو أحق بكل ما تركه أخوه « البحراوى » .. ان لم يكن كل ما تركه .. فنصفه .. فهل يحصـل عليه بعد قتلها ! .. وكيف ؟ .. يجب أن يفعل فعلته دون أن يتعرف أحد عليه .. ودون أن يترك الأثر الذى يرشد اليه .. أى غباء ؟ .. وهو الذى يفكر فى المطرقة والمنشار ؟! لو قبضوا عليه فلن يحصل على قرش واحد .. وان أفلت فسيكون من حقه أن يرث ما يخص أخاه ، لأنه لم ينجب منها لا البنت ولا الولد !

اقتربت نهايتك يا قاتلة الرجال ..

لا فائدة من الكلام !

- ٢٨ -

هل ترى فيه صورة « الولد الذهبى » ·· ترى ما هو اسمه ؟··
وما هو عمله ؟ ·· ولماذا يقابله الجميع فى النـادى بكل هــذا
الترحيب ؟ ·· وكيف أنها لم تره من قبل ؟!

كأن « مصطفى » قد ظهر ثانية ·· نفس الشعر الأحمر ،
ونفس القامة المديدة ، وان لم يكن فى مثل نضارته فى الأيام التى
ولت !

كانت طلقات المتسابقين على الأطباق الطائرة تتوالى فى رتابة ·
وكان مشغولا بشراء التذاكر ، ومتابعة الأرقام ، وان لم يتحرك من
مكانه · كان يجلس وحيدا وكأنه ملك متوج · تساءلت كيف لم
تره من قبل ·· لا فى النادى ·· ولا فى أى مكان آخر ·· وبلغ
بها الفضول آخر مداه · ولم يستغرق الأمر الا عدة ثوان عرفت
بعدها كل شىء · أشارت بيدها ، وجاء من يلبى اشارتها · همست
بما تريد أن تعرفه ·· وعرفته !

فوزى عمران ·· صاحب شركة نسيج فى « سموحة » ··
متزوج وعنده ولد واحد ·· وبنت واحدة ·· قليل الحضور الى
النادى ·· يفضل الانفراد بنفسه !

خسارة ان اسمه ليس « مصطفى » ·· وخسارة انه متزوج !

حـاولت لفت انتبـاهه • ظلت متجهة ناحيته بنظراتهـا وبابتساماتها •• وهو ولا هو هنا •• غالبها شعور التحدى •• فرغم انجذابهـا نحوه بسبب ذلك الشبه الغريب بينه وبين « الولد الذهبى » •• فهى لم تتعود أن ترمى نفسها على أحد •• تذكرت •• ابتسمت •• فعلتها مرة واحدة •• فهل تفعلهـا ثانية لنفس السبب ؟!

أشارت لتدفع حساب مائدته • وعندما أبلغوه أنها هى التى دفعت • نظر ناحيتها فى استنكار • شد رأسه الى الوراء فى غضب ظاهر •• لوحت له أن يأتى الى مائدتها وكأنها تنازلت ، واستسلمت لتقدم له كل فروض الولاء •• رأته يبتسم ويقوم ليأتى الى مائدتها • أعطته قسمات وجهها وهى تهز رأسها فى دلال • قال قبل أن يجلس وقد بهره جمالها وصبوتها :

« أعرف بعد اذنك •• ليه الشرف ده » ؟!

واصلت دلالها :

« أعرفك بنفسى •• أحلام •• أعمال حرة زيك » !

تضاربت الأفكار فى رأسه • هل هى « أحلام » التى تتحدث عنها الاسكندرية كلها •• هل هى تلك المرأة الأسطورة التى تدير مملكة لا أول لها ولا آخر •• ولماذا أغدقت عليه هو بالذات بهذا اللقاء • وماذا تريد منه ؟

قالت وكأنها قد دخلت رأسه :

« ضرورى عرفتنى » ؟!

رد فى شىء من الارتباك :

« بالطبع •• حد يتوه عن صاحبة الجلالة أحلام » •

علت ضحكتها :

« موش للدرجة دى ٠٠ وبلاش مبالغة » ٠

عادت الأفكار الى تضاربها فى رأسه ٠ كيف عرفت أنه فى الأعمال الحرة ٠٠ ولابد أنها تعرف اسمه ٠٠ تعرف كل شىء عنه ٠٠ فما هى الحكاية ؟!

قالت فى نعومة مفتقدة للرجل :

« لقيتك وحدك ٠٠ وأنا وحدى ٠٠ قلت ٠٠ » ٠

قاطعها وكأنه انسان آخر غير الذى يجلس أمامها :

« ده شرف كبير ٠٠ لكن ٠٠ لكن حكاية الحساب دى ٠٠ أنا متغودتش ان ٠٠ » ٠

قاطعته بدورها :

« خلاص ٠٠ ادفع انت الحساب بتاعى » !

لا تستطيع تجاهل تلك العاصفة من المشاعر والأحاسيس التى هاجمتها مرة واحدة كأنها تعود الى الوراء لتصبح فى الرابعة عشرة من جديد ٠٠ تسعى للقاء « مصطفى » وتبحث عنه ٠ تجده عند الصخرة المجاورة للقلعة ، وتعطيه الورقة المكتوب فيها بيت الشعر ٠٠ تتأمل تقاطيعه وتغرق فى عيونه الزرقاء بلون البحر ٠٠ انه حتى يمتلك نفس اللون فى عينيه ٠٠ من هو ؟! ٠٠ هل هذا هو ما يقولون عنه « تناسخ الأرواح » ٠٠ اذا كان الأمر كذلك ٠٠ فلماذا لا يكون « مصطفى » نفسه ٠٠ لماذا اسمه « فوزى » ؟ ٠٠ ولماذا هو متزوج ؟!

سألته عن مصنعه ٠ وسألها عن أعمالها ٠ طال اللقاء بينهما دون أن يتطرق الملل الى أحدهما ٠ سادهما الارتياح وكأنهما يعرفان بعضهما منذ وقت طويل ٠٠ فاجأته بقولها :

« أنا حاسيب عربيتى هنا فى النادى ٠٠ حاركب معاك » ٠

ارتجفت أوصاله :

« حنروح فين » ؟!

عاجلته ضاحكة :

« ما تخافش •• حنفضل ماشيين على الكورنيش لحد قصر المنتزه •• ويمكن لحد أبو قير •• ندردش •• نتكلم •• وبعدين كل واحد منا يروح لحاله •• عندك مانع » ؟!

« مانع ؟! •• معقول ؟! •• ياللا بينا » !

سألته وهى الى جواره فى سيارته دون أن تنظر ناحيته :

« سعيد فى جوازك » ؟!

ها هى تقتحم المنطقة المحرمة وفى أول لقـــاء •• وعلى غير موعد • يتلاشى من ذهنه كل ما سمعه عنها •• سلطانها وجبروتها •• حتى انهم يحطئون فى تقدير جمالها وشبابها •• انها تحت الثلاثين بكثير •• تفيض رقة ، وعذوبة ، ونعومة ؟!

أوقف السيارة عند منحنى « جليم » قال وكأنما استيقظ فيه رجل الأعمال :

« سؤال » ••

قاطعته قبل أن يكمل السؤال :

« عارفه •• وعشان أكون صريحة معاك •• أنا موش طبيعتى كده • كل حاجة اتغيرت لما شفتك •• وفى كلمة واحدة •• انت صورة طبق الأصل من حبى الأول » •

فات وقت طويل قبل أن يسألها :

« وهو فين دلوقتى » ؟!

تنهدت فأحس اللفح الساخن • وقالت فى كلمات مخنوقة :

« اختفى ·· كان معايا ·· وبعدين اختفى » !

لم يتكلم ، أدار موتور السيارة ليعود فى اتجاه النـادى · تردد كثيرا قبل أن يهمس فى صدق :

« يا ريتنى كنت أنفع أكون مكانه » !

قالت كأنما تسترد نفسها :

« أنا موش عايزه أرغمك على حاجة ·· خلاص ·· أنا فقت ·· اللى فات فات ·· انت راجل متجوز ·· وعندك مسئوليات ·· وأنا ··

قاطعها وهو يمد يده ليمسك بيدها :

« الليلة دى بتاعتنا ·· حتفضلى معايا ·· وحافضل معاكى ·· أنا شقتى فاضيه فى العجمى ·· موش حانسيب بعض ·· عندك مانع » ؟

لم تمانع !!

- ٢٩ -

مصطفى كان ٠٠ وفوزى الآن ٠٠ حبها الحقيقى ٠٠ لا فرق بينهما ٠٠ توحد الاثنان فى كيان واحد ، غريب ، غامض ، امتلك قلبها واندرج فى أحلامها ٠٠ أحبت مصطفى صغيرة تبيع الفطير ٠٠ سعت وراءه ٠٠ اختفى ٠٠ وأحبت فوزى وعلى رأسها تاج يراه الناس ولا تراه ٠٠ وآه لو اختفى ٠٠ كيف تحتفظ به ؟ ٠٠ لقاء ليلة واحدة طافت فيه الدنيا ٠٠ نزلت الى أعماق البحر ٠٠ طفت فوق الموج ٠٠ مدت يدها فى قلب وهج الشمس ٠٠ لم يكن الحلم الذى يتبدد كل صباح ٠٠ رأيته فى ضوء النهار على الأجنحة البيضاء للنورس ٠٠ قال : زوجينى نفسك ٠٠ قلت : زوجتك نفسى ٠٠ قال : لابد أن أحتفظ بزوجتى من أجل أولادى ٠٠ قلت : وأنا موافقة ٠٠ سألنى : هل نعلن الزواج ؟ ٠٠ قلت : يجب أن نعلنه ٠٠ قال : وكيف نعلنه ؟ ٠٠ قلت : ليلة من ليالى ألف ليلة ٠٠ قال : ألا تخشين كلام الناس ؟ ٠٠ قلت : مادمت لن تخشاه أنت ٠٠ قال : تعيشين معى ٠ أنفق عليك ٠٠ قلت : يزداد حبى لك ٠٠ قال ٠٠ قلت ٠٠ لفنا الصمت !

فوزى الآن ٠٠ اختارته ٠٠ نضحك للحلم الجديد ٠٠ يعود الحلم القديم فى أعماق أعماقها ٠٠ يعود الولد الذهبى ٠٠ يعود « مصطفى » الابن والحبيب ٠٠ أحمر الشعر ٠٠ عيناه بلون السماء

ومياه البحر ·· أمه هى وعاشقته ·· يستكين فى كيانها كله · قالت له : مصطفى··هذا اسم ابنى منك· قال : اسم جميل لطفل جميل !

أعلنت حبها ··

قالت « منى » : سبقتينى فى الاختيار ·· أنا مازلت حائرة ·· قالت لها : أنا أفهمك أكثر من فهمك لنفسك · أنت اخترت ! ·· قالت « منى » : وكيف عرفت ؟ ·· قالت لها : كما عرفت أنت ! ·· قالت « منى » : أحب لحيته البوذية ! · قالت لها : وتحبين عذابه أكثر ؟ ·· قالت « منى »: هل أعلن حبى ؟ ·· قالت لها : خير لك الانتظار ! ·· قالت « منى » : هل أضاعف من عذابه ؟ ·· قالت لها : بل تنقصين من عذابك أنت ! ·· قالت « منى » ولماذا لا تنتظرين أنت ؟! · ·قالت لها : انتظرت بما فيه الكفاية ·· قالت « منى » : وصفك له يخلب العقل كأنما هو ليس من البشر ·· قالت لها : متزوج وعنده ولد واحد وبنت واحدة ورضيت أن أكون زوجته الثانية ·· قالت « منى » : وأعمالك · وأموالك ؟ ·· قالت لها : تبقى أعمالى وأموالى · قالت « منى » : فهمت !

جاهرت بحبها ··

قال « عزمى » : فرحتى الغامرة يا أختى · متى يعرض على سؤاله ويطلب موافقتى ؟ قالت له : « تزوجته أمام الله · وتبقى مباركتك أنت والناس » ! ·· قال «عزمى» : عمله ناجح · هل وافقت زوجته ؟ · قالت له : أنا وافقت ! ·· قال « عزمى » : نرفع الزينة والأنوار على الكورنيش وفى التتويج من محطة الرمل حتى قصر رأس التين · قالت له : تمنيت أن تكون ليلة من ألف ليلة · قال « عزمى »: دعائى أن تتحقق أمنيتك !

داهمتها الذكريات ··

أين أنت ياخال ؟! ·· أفتقدك · كنت أريدك معى · مشوار

أحلامنا قارب على النهاية ·· فهل تكون النهاية السعيدة ؟ ·· عروس البحر تدب فوق الأرض · تلتقى بحلمها القديم ·· تعانق حلمها الجديد ·· أحلام تصبح الأم يا خال · أنت لم تعرف اسمه والآن أقوله لك ·· مصطفى ·· ابنى اسمه مصطفى ·· هل يعجبك الاسم ؟ ·· أنا أعرف · أنا أسمعك ··

« اسمعينى يا أحلام · اسمعينى يا ابنة أختى رغم أنك لا تجلسين أمامى ·· سترينها يا أحلام ·· الجمال الذى ليس مثله جمال ·· الشعر الذى يسبح فى الليل ·· العيون التى تخطف نور القمر ·· هلعى أن يضيع منك الحلم » !

تطلب موافقته ورضاه ··

وافق الصغار ·· فهل توافق أنت ·· هل يوافق أبى وأمى ؟·· كنت أريدكم كلكم معى ·· ضحكات « فتحية » وهمهمات «حمامة »·· العريس هذه المرة زينة الرجال هل أصفه ، أم أنكم ترونه ·· ياليتكم ترونه ·· لهفى عليه وعلى من فى بطنى !!

لهفى عليك يا مصطفى !



تعرفت على « بسمة » بأسرع مما كانت تتوقع · كانت جالسة وسط مجموعة من الفتيات بينهن صديقة قديمة لها ·· قامت فور أن رأتها لترحب بها وتقدمها للجميع ·· واحدة بعد الأخرى ··

جلست تتأملها ·· معه حق « عزمى » ·· نوع فريد من الجمال ·· بشرة سمراء وعيون ملونة · حين وقفت لتحيتها كانت تفوقها فى الطول ·· جسد عملاق يليق ببطلة سباحة · وصوتها مميز أيضا ·· له سحبات فى نهاية كل كلمة ·· نجحت فى الامتحان ·· فهل ينجح أخوها « عزمى » ؟ ·· مروة الى جوارها طفلة

فى الحضانة رغم أنها تدرس بالجامعة ·· بالمناسبة ·· جاءها أول سؤال تسأله لها :

« وبسمة بتدرس ايه » ؟

جلجلت ضحكتها :

« أدرس ؟! ·· أنا خريجة معهد التربية الرياضية ·· والأولى كمان » !

قالت « منى » كأنها تعتذر :

« وأنا زيك ·· بس خريجة الفنون الجميلة » !

تدخلت صديقتها القديمة :

« ايه الحكاية ؟! ·· مافيش حد قاعد غير بسمة ؟ ·· نحن هنـا » !

تشابكت الأصوات والضحكات · شرد ذهنها ·· هل تمضى فى طريقها ؟ ·· لقد وعدته ولن تخذله هى مناسبة ولن تتطور الأمور الا بعد أن يلتقيا ·· فكيف يكون هذا اللقاء ؟ ·· من الأحسن أن تفكر فى مكان بعيد عن هنا·· تختلق مناسبة توافق على حضورها·· هل تجرب دعوتها الى العرض المسرحى الذى صممت له الديكور ؟ ·· فكرة رائعة ·· اقتربت منها لتقول فى همس :

« عندك مانع تحضرى عرض مسرحى أنا مصممة له الديكور » ؟

فوجئت بها تقول بصوت عال :

« أيـوه ·· أنا سمعت عنه ·· امتى » ؟

اندفعت بالاجابة :

« يوم الخميس ·· كويس » ؟

سارعت بالانسحاب بعد أن اتفقت معها أن تكون فى انتظارها عند مدخل المسرح . لو أطالت جلستها تتورط مع الجميع .. وهى تريد « بسمة » وحدها .. حتى يقابلها « عزمى » وحده .. ووقتها تكون قد انتهت مهمتها الصعبة .. أفراح بالجملة قد تكون فى الطريق .. أحلام مع فوزى .. وعزمى مع بسمة .. وماذا عنك أنت يا منى ؟ .. هل حقيقة ما قالته أحلام اننى أحب عذابه ؟! .. هل أنا بكل تلك القسوة ؟ .. قد تعذبه موافقتى على العمل مع « كامل شريف » .. ولكننى حرصت طول الوقت أن يلازم حدوده .. تجاهلت كل كلمات الغزل ، والمديح ، والاطراء..تهربت من أى لقاء بعيدا عن العمل .. ثم انى لا أشعر بأية عاطفة نحوه .. فهل يحتاج « عادل » أن أقول له ذلك كله ؟ .. هل أكون قد توقفت عن تعذيبه .. أعرف أننى سأكون له فى نهاية المطاف .. فلماذا العجلة ؟! .. أتمنى أن تطول الفترة التى أتأرجح فيها بين القبول والرفض .. أشعر بسعادة حقيقية والكل ينتظر منى الرد النهائى .. وأولهم « عادل » نفسه .. وأنا أقولها له بصراحة .. اصبر .. قليل من العذاب يصلح الحب !

•

فوجئت بوجود « عزمى » فى البيت .. ليس من عادته الخروج من الكلية وسط الأسبوع .. هل عرف بحكاية ذهابها الى النادى ، وتقابلها مع « بسمة » .. غير معقول .. انها كانت هناك من ساعة واحدة فقط .. ولم تخبر أحدا بالمكان الذاهبة اليه .. ارتفع صوتها فى مواجهته :

« حاجة غريبة .. أنت .. » .

قاطعها والفضول يتقافز من عينيه :

« قابلتيها » ؟

ازداد ارتفاع صوتها :

« عرفت ازاى ؟ .. انت ..

قاطعها من جديد :

« عندنا تدريب فى عرض البحر ·· والنهارده وبكره أجازة مكان الخميس والجمعة ·· هه ؟ ·· قوليلى ·· قابلتيها » ؟!

ألقت بنفسها فوق أقرب مقعد :

« يا خسارة ·· الميعاد حيكون يوم الخميس ·· فى المسرح ·· ألف خسارة » !

جلس قبالتها :

« فعــلا خسارة ·· لكن ·· ايه رأيك فيها ·· تحفــة موش كده » ؟!

قالت وهى تطيل النظر الى عينيه بالطريقة التى تعود أن تقوم بها كلما كان الأمر خطيرا :

« هايلة ·· بس انت موش قدها ·· دى تاكلك » !!

- ٣٠ -

اكتشف انه يدور حول نفسه بين جدران مكتبه · لا يهدأ · لا يستقر ·· كيف حدث ذلك كله فى ليلة واحدة ؟ ·· لم يكن بينهما أى تعارف ؟ ·· كان من الممكن ألا يذهب الى النادى فى تلك الليلة ؟ ·· وكان من الممكن ألا تكون هى هناك ·· ولكنها رأته · ناوشته ·· أعطته الاشارة الخضراء ·· لينتهى الى اشارة حمراء ملتهبة !

أين كان ، وأين هو من أحلام ؟ وعالم أحلام ؟!

تقول انه صورة طبق الأصل من حبها الأول ·· ويقول الآن انها صورة طبق الأصل من فتاة أحلامه منذ أكثر من عشرين عاما ·· حينما كانت هى طفلة فى الخامسة أو السادسة ·· الجمال يأتيه على طبق من فضة ·· يجب أن يقاوم الغرور !

هذا الغرور لم يكن يعرفه عندما تزوج ابنة عمه · كانت صفقة ربح فيها كل ممتلكات عمه الذى لم ينجب غير ابنة واحدة · تعود أن تكون حياته بلا عواطف ·· حتى أبوته خلت من العاطفة ·· آن الأوان لأن يعترف بذلك ·· لا يعرف شيئا عن ابنه وعن ابنته سواء فى البيت أو فى الدراسة · «أسماء» زوجته وابنة عمه تدير كل شىء فى البيت ليتفرغ هو للمصنع وملحقاته · فى الصباح الذى تلا تلك الليلة كان يعتقد أن كل شىء سيمر مر الكرام · فهو كثيرا ما يسهر

فى عمله حتى الصباح . وفى كل مرة كانت « أسماء » تستقبله مفتوحة الذراعين وكأنه عائد من سفر طويل .. أما فى ذلك الصباح فقد رمقته بنظرة اتهام .. لا يعرف كيف تتلمس المرأة معالم خيانة زوجها .. هل لأنه كان يحس بالذنب ؟ .. هل لأن طريقته فى التصرف وفى الكلام تفضحه وتنبىء عن خروجه المألوف ؟ .. لا يعرف .. لم يجرب الخيانة من قبل . حاول أن يكون طبيعيا ولم يستطع .. كاد كوب الشاى يقع من يده على مائدة الافطار .. أمسك جريدة الصباح بالمقلوب .. لا يعرف كيف يكذب وهو يتحدث عن أشخاص وهميين التقى بهم فى الليل واستمر عشاء العمل حتى الصباح . ولا يجرؤ أن يقول الصدق فيحكى عن ذلك اللقاء الأسطورى الذى يكاد يكون فيه قد تزوج للمرة الثانية .. لم يقربها الا بعد أن اتفقا على الزواج أمام الله .. ويبقى أن يتزوجا أمام الناس .. هذا هو الزواج .. تلقى على يديها دروس الحب الحقيقى .. لم تكن سلبية مثل « أسماء » تنتظر منه الفعل ليأتى ، أو لا يأتى ، رد الفعل .. كان يفعل وتفعل معه .. تناجيه .. تعطيه .. تلغى العالم كله دونهما .. كلما ساوره الشبع .. لوحت له بالجوع .. الى الشفتين .. الى الثديين . اليها كلها .. فلا يجوع .. ولا يشبع .. ولا يكف .. ولا يهدأ ..

كأن « أسماء » قد عرفت كل التفاصيل .. دون أن تعرف شيئا عن الهول الذى حدث . قالت كلمة واحدة قبل خروجه الى العمل :

« حتتأخر » ؟ .

هزته الكلمة كما لم تهزه كلماتها من يوم أن عرف أنها ابنة عمه .. ومن يوم أن تزوجها . هل هى بداية المعركة ؟ . رد ، دون أن يدرى ، بطريقة الذى يدافع عن نفسه :

« وحا تأخر ليه ؟! . حارجع على الغدا » !

أطلقت رصاصة ثانية :

« وفى الليل » ؟!

هرب قبل أن تهزمه توابع الزلزال . كيف يستطيع مواجهتها فى الأيام التالية ؟ .. ماذا يحدث عندما يتزوج عليها بالفعل .. ويغيب النهار كله .. ويختفى الليل كله ؟ .. هل يتراجع ؟

عرف من سكرتيرته أن سيدة طلبته وتركت رقم تليفونها لأنها تريده الاتصال بها فور وصوله . أدار قرص التليفون الخاص وعندما سمع صوتها تراجع عن فكرة تراجعه . كانت تقول كأنما تغنى :

« فوزى . وحشتنى » !

لم يعرف كيف يرد عليها . قالت انها لا تسمع صوته . همس بأنه لا يريد أن يتكلم . يريد أن يسمعها . داعبته ضحكتها . كأنما عادت الى أحضانه . يراها وهى تذيقه الشهد ، وتسقيه العسل وتمتعه بالدفء . قال كالمسلوب :

« أشوفك » !

اتفقا على اللقاء بعد ساعة واحدة . لم يغلق أحد الباب الذى فتح لهما .. يدخلان سويا لوصل ما كان .. يقول لها ما فاته أن يقوله فى الليل .. أنها فتاة أحلامه .. ترد عليه بأنها مجاملة .. يكفيها أنه هو فتى أحلامها .. تندم على عدم لقائهما منذ دهر طويل .. تنتبه كل حواسه عندما تتحدث عن موافقة أخيها الوحيد .. وعن عرضه لأن تكون ليلتهما من ليالى ألف ليلة . تدق نواقيس الخطر فى رأسه . هل من الضرورى أن يصل « الاشهار » الى هذا الحد ؟ .. لا يفصح عن مخاوفه . يندفع برأيه كأنه رجاء :

« الحفلة حتكون فى مرس مطروح » !!

● ●

هل لم يعد يحبها ؟ .. هل هانت « مروة » ؟ .. رضيت بشقيق تاجرة « السمك » وأنا ابنة المستشار ضرغام .. ويقول اننى أضغط عليه ، وأطارده .. كنت أتساءل منذ وقت طويل ، منذ أن أصبح صديقا لأخى « هيثم » .. كيف قبلوه فى الكلية البحرية ؟ .. كيف يصبح ضابطا ابن أخت « جحا » الذى يهاجم الناس فى الشوارع ، ويقول الكلام المخبول ؟!

لولا توسلاته ، ما وافقت أن أقابله ، وما صدقت أنه يحبنى .. ولولا الحاحه ما تجاوبت معه .. يجب أن أسارع باعلان خطوبتى حتى يتأكد أننى لم أكن أناوره .. حتى أسترد كرامتى .. حتى أكيل له الكيل كيلين .. حتى يفيق لنفسه ذلك الانسان الذى تفوح منه الزفارة مهما تعطر ، ومهما تخايل بالثراء !

كانت تتمنى أن تنشق الأرض لتجد أخاها « هيثم » أمامها وتصرخ بكل الذى فى صدرها .. لن تطلب مقابلته حتى تقول له ما يستحق أن يسمعه بنفسها .. يكفى أن ينقل « هيثم » اليه رأيها بالكامل .. حتى ينكمش فى حجمه الطبيعى .. القذر !

لكن « هيثم » لم يظهر ..

هل تكتب كل ما تريد أن يسمعه فى ورقة ترسلها اليه ؟ .. انه حتى لا يستحق هذا الجهد فى الكتابة .. كان يظن أننى لا أعرف حقيقة أصله وفصله .. كان يظن أننى فتاة ساذجة لا تعرف من الدنيا الا ما تقرأه بالفرنسية .. ابن الجاهلة .. لن يهدأ لى بال الا بعد أن أدفن رأسه مع رءوس السمك .. ثم أمضى فى خيلاء تليق بى ، وبأسرتى ، وبأبى المستشار .. فضيحتك ستكون على يدى يا قريب « جحا » .. تشيعون أنه مات وأنتم تحبسونه فى مكان مجهول ، حتى تستطيع رفع رأسك أنت ومدعية الفن أختك .. وأنت يا « منى » حسابك معى عسير .. لماذا كل هذا التعالى الذى

لا تستحقينه ؟ ·· فى كل لقاء كنت تستخفين بى وتتظاهرين بأنك انسانة عصرية ·· وأنت فى الواقع تربية حوارى !

تكاد تبكى ··

كيف سمحت له أن يقبلنى ؟ ·· كيف رضيت أن يلتصق جسده بجسدى ·· حتى ولو كنت بملابسى الكاملة ؟ ·· قلبى لم يكن مطمئنا منذ البداية ·· ورغم ذلك فان قلبى هو الذى خدعنى ·· وأنا خدعت عقلى ·· قلت أنسى معه الماضى كله ·· ماضيه هو ·· وتكون لنا بداية جديدة ، وأسرة ، ونطوف العالم سويا ·· وكنت أظن أنه يتجاوب معى ·· يتطلع للمستقبل مثلى ·· ولكنه كان يريد التعلق بنسبه لأسرتى أكثر مما يريد التعلق بى أنا ·· كنت أتمنى أن أكون البادئة بانهاء كل شىء ·· مصيبتى أننى قلت له صادقه ان هناك من تقدم لأبى لخطبتى ·· فتوهم أننى أتوسل اليه لكى يتقدم لخطبتى قبل غيره ·· لابد أن أذيقه من نفس الكأس ·· ثم أحطم الكأس فوق رأسه !

يطول انتظارها حتى يظهر « هيثم » ·· تراه مهموما وكأنهم فصلوه من الكلية ·· تتردد فى أن تبوح له بما يغلى فى عروقها ·· تقترب منه وتهم بالكلام ·· ثم تسارع بالبعد عنه عندما تراه باهت اللون ، زائغ العينين ·· ماذا حدث ؟!

جاءتها الاجابة دون أن تسأله · انفجر غضبه مرة واحدة :

« انسان وضيع » !

ليس هناك انسان وضيع غيره ·· تتفق الأفكار بينهما ·· قالت وكأنه قد أمدها بطوق النجاة قبل أن تغرق :

« عارفه » !

أشاح بيده :

« انتى موش عارفه حاجه » .

تحاملت لتقول :

« اللى اسمه عزمى .. واللى قاله عنى .. واللى .. » .

قاطعها بصوت عال :

« موش انتى دلوقتى .. ده أنا .. أنا .. » .

هاجمها الفضول :

« عمل معاك ايه تانى » ؟!

اختنقت كلماته :

« بسمة .. بيلف وبيدور حـواليها .. وأختـه منى بتلف وبتدور معاه » !

صرخت وقد تضاعف غليان الدماء فى عروقها :

« ابن الجاهلة » !!

- ٣١ -

طال صمتها بعد سماعها ما قالوه عن « البحراوى الصغير » ٠٠ كانت قد طلبت منهم أن يتركوها وحدها فى مكانها المفضل عند الصخرة فى مواجهة الأفق البعيد ٠ ولكنهم ظلوا غير بعيدين عنها ، لا غير عادتهم ، وخلافا لأوامرها ٠ كانوا يقولون ان « النجرو » ردد كلاما خطيرا وهو فاقد الوعى فى البار ٠ قال ان «البحراوى الصغير» ينوى أن يفعل ما لم يفعله أحد قبله ٠٠ يدق رأس « أحلام » بالمطرقة ، ويقطع رقبتها بالمنشار !

تسربت ابتسامة سخرية الى شفتيها رغم توجسها ، واحساسها بالخوف أشارت لهم أن يقتربوا أكثر ٠ قالت بنبرات حاسمة :

« هاتوه هنا » !

لم يناقشها أحد ٠ بعد أقل من ساعة كان يترنح وسط اثنين من « الجمع » خائفا ٠٠ مذعورا ٠٠ وكأنهما يقودانه الى حبل المشنقة ٠٠

غالب صوتها هدير موج البحر الصاخب :

« إنتم جايبين مين » ؟

رد أحدهم فى رعب :

« النجرو » !

كادت تلطمه فوق وجهه :

ـ « أنا عارفه انه الزفت ·· أنا عايزه التـــانى ·· التـــانى أبو مطرقة ومنشار » ! ·

كأن انســانة أخرى غيرها فى قلب هذه الأحــداث الغريبة ، المؤســفة ، غير المتوقعــة ·· « النجرو » ·· و « البحراوى » ·· و « المنشار » · كيف يكون موقفها لو علم « فوزى عمران » بتلك الحكاية ؟ ·· كيف تكون صورتها وهى الزوجة الجديدة المرتقبة ؟·· يجب أن تتصرف بحــكمة ولا تندفع الى ما تندم عليــه بعد ذلك ، ويضيع معه كل شىء · تعرف منذ وقت طويل أن «البحراوى الصغير» لن يقنــع بما تعطيه له ·· يطمع فيما هو أكثر وأكثر يطمــع فيما ورثته عن « كباره » أيضا ، ومن يعرف ·· فربما تكون عنده قناعة أنه قريبه أيضا · تتأرجح أفكارها بين تصرف جامح ، مجنون ·· أن تخفيهما هو و « النجرو » من فوق وجه الدنيا ·· وبين تصرف عاقل ·· أن تغدق عليهما ويصبحا من « الجمع » ·· من رجالهــا الذين تكتفى معهم بالاشارة ولا تناديهم بالاسم !

التصرف المجنون قد تكون له عواقبه الوخيمة ·· قد يكتشفون الجريمة ·· وهى لم تسلك هذا الطريق من قبل ·· فهل تسلكه ·· مهما قد يكون فيه من تهلكة ؟!

والتصرف العاقل قد يزيد من جشعه ·· ويوهمه أنها تخاف منه وتخشاه ·· وهى لا ترضى أن تصبح فى هذه الحالة مهما كانت أوهامه ·· ومهما كان كلامه ··

تركن الى التصرف العاقل ·· على أن تبدأ بالوعيد من التصرف المجنون ·· تخيفــه ·· ثم تعطيه ·· ترهبه ثم تكسبه ·· تدمــره لتأمره ·· تلاعبه ثم تلبى ما تسمح هى به من مطالبه !

جاءوا بالاثنين معا ·· البحراوى الصغير والنجرو ·· رغم ضآلة جسمه ، فقد بدا لها كالعملاق ·· اهتزت فى البداية وكان « البحراوى » قد عادت اليه الحياة من جديد ·· على قدر ما كان « النجرو » مثل الكتكوت المبتل ·· على قدر ما كان هو كالذئب الذى يتحين الفرصة لينقض عليها ·· مهما كان حولها من حراسة ، ومن رجال ·· لم تكن بحاجة الى أى دليل جديد لتعرف مدى كراهيته لها ·· تعرف أن كثيرين يكرهونها ، ويحقدون عليها ، ويتمنون التخلص منها ·· ولكنها لم تفجع بمثل هذه النظرات المسعورة ، الصاعقة ·· قالت وهى تتحاشى تلك النظرات :

« تحب تخلص فين ·· على الأرض ·· ولا مع السمك »؟!

زاد الشرر الأحمر فى عينية ولم يتكلم ·

اختلطت مشاعرها ·· الخوف مع الكبرياء ، مع الاعجاب ·

هكذا كان أبوها « حمامة » فى مثل تلك المواقف · رجل ولا كل الرجال · يواجه الجبروت بيد عزلاء وبقلب من حديد · اقتربت منه لتعاودها طبيعة الابنة ، والأنثى :

« أنا موش ناسية انك قريبى ·· مهما حصل ·· برضه قريبى ·· وعشان كده أنا عايزه أعرف طلباتك ايه » ؟!

قال دون أن يقول ان طلباته معروفة ·· وهى أول العارفين ·

واصلت بنعومة مفاجئة :

« عمارة أخوك فى محرم بك ·· حتكون بتاعتك ·· بيع وشرا ·· » ·

توقفت حتى تلمح رد الفعل فى عينيه · صدق حدسها · لمعت عيناه بما يشى بالفرحة والانتصار · تشجعت لتواصل نعومتها :

« والمحل اللى فى سوق شيديا .. حيكون بتاعك .. بيع وشرا .. » .

رأت نظراته تسقط عند قدميها . هذا ما تريده .. وما يأخذه أكثر مما يريده . ابتعدت عنه قائلة :

« أنا كلمتى واحدة .. وانت كلمتك ايه » ؟!

لم تلتفت ناحيته وهو يقول فى استسلام :

« خدامك » !

أطلق « الجمع » سراحه فكاد يقع على وجهه . بحث عن « النجرو » ليسحبه بعيدا عن الجميع . استدارت ناحية البحر شطر الأفق البعيد.. تنهدت فى ارتياح .. هل تخلصت من مخاوفها التى لا تبديها لأحد ؟ .. هل تستطيع الآن بداية حياة جديدة لتصبح كما أرادت .. وكما تريد ؟!

قلبها يحدثها عن أفكار لا تعرفها ..

يا عالم .. خدوا كل ما ورائى وما أمامى ..

انهبوا مالى .. واتركونى فى حالى ..

الرجل الذى اخترته لن يجعلنى فى حاجة للجاه والسلطان .. هو جاهى وسلطانى... أول مطلب له أن ينفق على .. أن أكون مسئوليته .. فأية سعادة ؟!

موعدها معه الليلة ..

عروس البحر فى انتظاره بكل الشوق ..

لن تعترض على مطلبه بأن يكون حفل الزواج فى « مرسى مطروح » .. فليكن الحفل فى أى مكان فوق الأرض .. أختها وأخوها سيكونان معها .. لا فرق بين الناس فى الاسكندرية والناس فى مرسى مطروح . .المهم أن يعرف الناس ..

المهم أنى .. أنا .. العروس !!

- ٣٢ -

الدنيا كلها لن تسع « منى » ·· صورتها مع اسمها فى أغلب الجرائد والمجلات ·· كلما تحدث أحد عن العرض المسرحى ·· خصص مساحة كبيرة عن « الديكور » وعن مصممته ، رغم أنها أول تجربة لها · هذا هو النجاح الذى عرفه هو من قبل ، وتعرفه هى الآن · وقف الى جوارها ، وعاونها بخبرته ·· عندما طلبت منه ذلك ·· لم يفرض نفسه عليها ·· فلماذا لا يكون ارتباطهما بنفس الطريقة ؟ ينتظر حتى تطلب هى كل شىء ·· معشوقته تعشق الحرية ·· وهو يعشقهما معا ·

غامت فى رأسه سحابة الغيرة ·· ما هو موقفها من « كامل شريف » وما هى مشاعرها نحوه ؟ ·· لابد وأنه يتفاخر فى كل مكان بأنه هو الذى أتاح لها الفرصة ·· هو الذى شدها الى عالم المسرح ·· هو الذى وضع أقدامها على بداية طريق الشهرة ·· فماذا تقول هى ؟

هل هو بحاجة لأن يسألها ؟ ·· ضعف كبير منه أن يفصل ذلك ·· ولن تحترم هذا الضعف ·· لمحت له أكثر من مرة أن علاقتها مع « كامل شريف » هى علاقة عمل ·· ولكنه يعرفه ·· يعرف مغامراته وصولاته وجولاته ·· وفى جلساته الخاصة مع الأصدقاء سيختلق عشرات القصص عن هيام « منى » به ·· ومطاردتها له ··

واضطراره للتجاوب معها لجمالها الفائق . رغم موهبتها المعدومة ..
بل انه يمتلك الجرأة التي تدفعه لأن يقول ان « الديكور » من بنات أفكاره .. وما كان عليها إلا التنفيذ .. وبالطبع سيتجاهل « عادل مرسى » وما قدمه للاثنين معا !

لن يقع فى مصيدة تلك الغيرة ..

ولن يدعها تقع فى مصيدته مع الاغراءات التى تذهب بعقل أى فتاة .. ترى صورتها فى الجرائد والمجلات .. ويخطف عينيها بريق الشهرة . من البداية قال انها معركته .. وهو الآن يواجه الموقعة الفاصلة !

لم تعد المشكلة اعلان الخطوبة ..

المشكلة هى احتفاظه بها ..

لابد أن يستخدم كل الأسلحة الممكنة حتى ينتصر .. ويفوز بها .. لأنه لن يرضى بغير هذا الانتصار ، وبغير ذلك الفوز . خسارة كبيرة أن تضيع منه .

يسمع رنين جرس التليفون . يرفع السماعة فى لهفة :
« شفت الجرايد » ؟!

سؤال بدون مقدمات . يجيبها بفرحة لسماع صوتها :
« طبعا . وفرحان أكتر منك . ألف مبروك »
غردت كلماتها

« لازم نحتفل . الاحتفال حيكون عشانك انت » .

يسأل عن الموعد ، وعن المكان . يحاصره الضيق عندما يعرف منها أنه لقاء يضم غالبية العاملين فى العرض المسرحى .. وخاصة « كامل شريف » انه لايريدهم أن يحتفلوا به .. يريدها هى أن تحتفل

به .. يريد أن يكون وحده معها .. لا سبيل أمامه الا الاعتذار .. يتعلل بانشغاله بأعمال جديدة مطلوبة . يتجاهل تكرار رجائها بأن يحضر الحفل. يشعر بأنها أنهت المكالمة غاضبة . غضبه يفوق غضبها .. ليس هذا هو ما يريده .. لا قيمة لأن يحتفل العالم كله به . لن يقبل أن يكون « كامل شريف » دائما بينه وبينها . كلما التقيا تذكر اسمه .. عواطفه تصارع عقله .. طريق هذا الارتباط فى العمل قد ينتهى الى كارثة .. الى الخسارة التى يخشاها ويفزع منها ..

أمسك فرشاته وحاول مواصلة عمله .. ولم يستطع . أحس أن صــوت الموسيقى مرتفع أكثر من اللازم . أسكته . لفه صمت مخيف ..

هم يحتفلون ..

وهو يحترق !!

- ٣٣ -

هـــل هى « فينـــوس » أم « أفـروديت » ؟ ٠٠ أم هى « كليوباترا » ؟!!

كانت بالجمال الاغريقى تنضو السمار الافريقى ٠٠ تمثال حى، يتحرك ، يضـاهى كل المقاييس ترتدى قطعة واحـدة زرقاء تضيع ما بين تفجر الصـدر ، والتفاف الساقين وحينما تقفز الى حـوض السباحة تتناهى صيحات الاعجاب ، وحينما تعود الى الجافة تنزلق الصيحات الى همهمات ، تطفو الى العيون نزوات !

كانت تعرف أنها بكل هذا الجمال ، وتتظاهر عن الزهو به ، برغبتها فى الفوز ، وفى أن تكون البطلة ٠٠ وهى ان لم تسبح ، فلابد وأن تربح !

وقف « عزمى » يرقبها مبهورا ، متخوفا ، يحاول أن يمسك باللحظة التى قد تنظر فيها ناحيته ، ويفشل فى كل مرة ٠٠ اقترب فى النهاية ليلوح بيده ٠٠ فاكتفت بأن لوحت بيدها ٠٠ كما تفعل مع الآخرين !

لماذا قالت له أخته « منى » ان « بسمة قد تأكله » ؟!

هذا الجمال الأسطورى لايفترس ٠٠ فهل يحلم بأن يفترسه ؟!

لايوجد أحد ليكون همزة الوصل بينـــه وبينها ٠٠ حتى « هيثم » خاب اليوم ٠٠ وخيرا فعل ٠٠ عليه أن يعتمد على نفسه ، ويفعل المستحيل لكى يتقرب منها ، ويتعرف عليها ، ويكتب الكلمات الأولى فى قصته معها ٠٠ ظل يلف ويدور حتى رآها تقف وحيدة بملابسها كاملة بحث عن بواعث الجرأة ليقول لها :

« منى أختى بتســـلم عليكى ٠٠ وبتســألك ٠٠ عجبتك المسرحية » ؟

فوجىء بها تقول :

« هو أنت أخو منى اللى فى البحرية ؟ ٠٠ موش باين عليك » !

ابتلع الاهانة ليقول بصوت خفيض :

« أنا عزمى » ٠

ردت وهى تسير مبتعدة عنه :

« وأنا بسمة » !!

رغم هذه المعاملة القاسية ، فقد ازداد تعلقه بهـــا ، لم تعد الحكاية ما يريد أن يفعله مع « مروة » ومع شقيقها « هيثم » ٠٠ هذه انسانة لو حصل عليها يكون قد حصـــل على كل ما فى الدنيا ٠٠ نعيم ، ونجاح ، ونبل ٠٠ فلماذا تبدو له وكأن بينها وبينه عصورا كاملة ؟! ٠٠ اليونانى ، والرومانى ، والفتح العربى أيضا ؟ ٠٠ بأنها ليست ابنة مستشار ، وما يملكه أبوها يأتى فى خانة الأصفار لما تملكه أخته « أحلام » ٠٠ ولو بمنطق الجاه والسلطان ٠٠ يفوز هو ٠٠ ولو بمنطق الحسب والنسب ٠٠ فالحال من بعضــه ؟ ٠٠ فلماذا تستعصى عليه ٠٠ لماذا يشعر كلما رآها بضآلته ٠٠ وبأنها عملاقة ٠٠ وبأنها مستحيلة ؟!

تلوح في ذهنه الاجابة التي لايملك غيرها .. هذا النـــوع الملتهب من الفتيات لاتجدى معه المغامرات .. ولا المنـاورات .. الطريق الوحيد هو طرق باب بيتها .. أن يذهب فى صحبة أختيه لخطبتها .. ولن يستطيع أبوها الرفض .. فهو رجل أعمال .. والصفقة رابحة ، ولن يجد لابنته من هو أحسن منه .. يجب أن يسلك هذا الطريق حتى يفوز بالانسانة التى تدمن الفـوز والتى تمنحه فرصة واحدة تزيد عن اجابة السؤال الذى يسـأله .. هو يريد أكثر من ذلك بكثير .. يريدها أن تترك كل شيء من أجله .. تترك حتى السباحة .. تهجر النادى والمعجبين .. تكون مثلما كانت أمه لأبيـــه !!

يتجاهل صدى سخرية « منى » منه عندما تكلم عنها . تارة تقول انه لن يستطيع أن يصنع الحب .. وتارة تقول انه لا يطاولها .. لماذا كل هذه القسوة .. ولماذا كل هذا التفسير الخاطىء ؟! .. فتاة مهما كانت مواصفاتها .. يريد أن يرتبط بها .. وقد جرب أن يتقرب منها .. ولكنها مشغولة عن العالم بالسباحة .. ومشغولة عن السباحة بنفسها .. ومشغولة عن نفسها بالنظرات الولهانة ، المتيمة ، المتعبدة فى محرابها !

يطرق الباب .. وتكون له ..

البحر وامتداده الرحب . هدير الأمواج .. الأفق البعيد .. الليل والشروق .. النهار والمغيب .. نسمات الحياة من شاطىء بعد شاطىء .. النشوة ونداء الحب .

كلها .. كلها تكون له !

● ●

« عجيبة » ؟! .. كان يجلس فوق قمة الجبل الذى يحمل الاسم ... ينشق سفح الجبل عن مرفأ يحتضن اللون اللازوردى ، فكأنما هو قوس قزح قد تهاوى فوق الرمال .

لماذا جاء الى هنا ؟! .. انطلق بسيارته نحو الغرب .. صوت مجهول يشده الى حيث لايعرف .. لابد أن يقر الى قرار .. فكيف انتهى الى « محبيه » .. وكيف وصل الى « مرسى مطروح » .. لماذا لم يسألها أن تأتى معه ؟ .. لماذا فضل أن يكون وحده ؟ .
يجب أن يعترف بأنها امتلكته ..

لايهم أنها اختارته .. وأنها رأت فيه حبها الأول الذى راح منذ زمن بعيد .. ثم بعث الى الحياة فوق ملامحه .. هى حرة أن تقول ماتريد .. وفى أن تفعل ماتشاء .. المهم أحاسيسه هو .. انتباهه الى أنه يعرف العشق من جديد .. أن يتميز عن كل الرجال .. فيكون الرجل .. وتتميز هى عن كل النساء .. لتكون المرأة !

لايهم أنه لم يبحث عنها .. فلابد أن أعماقه كانت تتوق اليها .. وتنتظر .. دون أن يعرف الانتظار . وحينما التقى بها .. كان اللقاء لقاء .. وصل الشوق المدفون الى خط النهاية .. خط الالتحام .. ليعطى كل ما كان يضن به .. وليأخذ كل ما كان محروما منه .. أحلام تتحقق فى أحلام .. فأين المفر ؟!!

« عجيبة » ؟! .. كأنما هو حاله ، وما وصل اليه ، وما يقدم عليه .. هل يتزوجها ويتغافل عن رد الفعل عند « أسماء » زوجته ؟ . ماذا يحدث عندما تعرف .. هل تطرده من البيت ليبتعد عن ابنه وابنته ؟ .. هل تأخذ منه المصنع أيضا ؟ .. لابد أن يحيط كل ما يجد فى حياته بسرية كاملة .. أن يستمر فى طقوس أيامه كما كان دائما .. أن يتجاهل الخطر على أن يتجاهله الخطر .. أن يواجه احتمال أن يفقد كل شىء .. بوهم أنه قد فاز بكل شىء !

تقول له « أحلام » وكأنها تختبره :

« سأترك لك ادارة كل أعمالى »

يرد فى غضب لا يتأكد أنه كان صادقا :

« لا شأن لى بأعمالك ٠٠ ولا بأموالك ٠٠ أنت مسئوليتى » !

تشده الى صدرها فى اعتزاز لم يعرف من قبل أن له ملمسا ، ومذاقا ، ومتعة ٠٠ هى فى كفة الآن والعالم كله فى الكفة الأخرى ٠٠ يذوبان ٠٠ تختلط أنفاسه مع أنفاسها ٠٠ تعطيه الضعف فى قوة ٠٠ ويعطيها القوة فى ضعف ٠٠ يتناجيان ٠٠ تناديه كأنما فى كل مرة هى البداية ٠٠ ويناديها وكأنما ينزل بها من سحابة الى ما بين ذراعيه ٠

يبتسم فى نشوة عندما تقول له ان خالها كان يناديها بنداء واحد : « يا عروس البحر » ٠٠ فهل يناديها نفس النداء ؟ ٠٠ يقول كالمحموم ٠٠ « عروس ٠٠ عروس البحر » !

هى تنتظر منه الآن كلمته الأخيرة ٠٠ موعد حفل الزواج ٠٠ المكان الذى يريد أن تعيش معه فيه ٠٠ لن تصلح شقة « العجمى » رغم أنها حافلة بذكريات أول لقاء ٠٠ معروف أنها شقة العائلة ، وزوجته قد تذهب اليها ٠٠ عرضت عليه أكثر من مكان تملكه ٠٠ فى « سموحة » وفى « كنج مريوط » ، وفى « برج العرب » ٠٠ بل عرضت عليه أن يعيش معها فى شقتها ذات الدورين عند مشارف « قصر رأس التين » ٠٠ ورفض ٠٠ قال لها بكل الثقة : « كما أنك نفسك مسئوليتى ٠٠ فعش حبنا هو مسئوليتى » ٠٠ فمتى يقول كلمته الأخيرة ؟!

الآن يعرف أنه جاء الى هنا ليجيب عن السؤال ٠٠

يرى السؤال على أجنحة طيور النورس ٠٠ تحوم حوله وتتباعد وتقترب ٠٠ يرى السؤال وقد أصبح عشرات الأسئلة ٠٠ عشرات

الأجنحة ·· يبقى فوق قمة الجبل كأنما قد صار جزءا منه ·· يلفه السكون الهادر ، الهامس ، الهاتف ·· تغشاه أمنية أن يظل فى مكانه هنا بقية العمر ·· ينتظر ، كما تنتظر ، الكلمة الأخيرة ·· ينتظران معا !

يريد أن يبوح بما فى صدره ·· يصرخ به ليأتيه الصدى من ضباب الجبل ·· ومن المدى البعيد للمياه المتلاطمة ·· أن يطالب بتوقف الزمن مثلما تحجر فى الجبل ·· يصرخ مناديا باسمها الذى تحبه ·· يا عروس البحر ! ·

يخيل اليه أنها تجاوبه ·· تسمعه وترد عليه ·· « تعال ·· أنا فى انتظارك ·· أين أنت » ؟!

يجيب « أنا هنا ·· أنا فى المكان وفى اللا مكان ·· لو ظهرت أكون لك ·· » ·

يتماوج صوتها :

« أتعبتنى ·· اظهر عليك الأمان » !

يصيح كطفل صغير ، شقى : « اظهرى أنت يا عروس البحر ·· وأنا أظهر لك » ؟ ·

يذوب صوتها قريبا من مسامعه ·· وكأنما قد ظهرت أمامه :

« وجدتك » !

« عجيبة » ؟! ·· أين المفر ؟!

- ٣٤ -

تدخل معهم دائما دائرة عدم الصدق ٠٠ اذا كانت صادقة معهم ٠٠ فهم لايصدقونها يحقدون فى خوف ٠٠ ويخافون فى جرأة ٠٠ لايريدون تصديق أن سطوتها هى خوف مثل خوفهم ٠ فهى ابنة الصياد الفقير ، والتى باعت الفطير أيام مرضه ٠٠ عرفت المعاناة التى لايمكن أن ترضاها لأحد يقع تحت رحمتها ٠ وهم كثيرون ٠٠ قالت خذوا ما ورائى وما أمامى واتركونى فى حالى ٠٠ فأصبحوا مع كل دهشتها يصدقون ولا يصدقون ٠ هى ليست ساذجة حتى تعطيهم كل شيء ٠ وانما فعلت ما فعلت مع « البحراوى الصغير » حتى تسكت لسـانه ، لا لأنها خافت منه ٠٠ وما أخذه ، رغـم سعادته به ، أقل من القليل ، ولم تكن بأى حاجة له ٠٠ ولكنهـا غفلت عن طمع غيره ٠٠ خاصة أنها تزوجت بعد « البحراوى » بمن لا يقل ثراء عنه « كباره » ٠٠ واليوم يظهر أحـد أقاربه ، ليس سليط اللسان ، ولكنه كالثعبان فيه نعومة لايمكن أن تكون لرجل له شوارب ، ويشد أنفاس النرجيلة فى المقاهى مثل بقية الرجال ٠ بدأ من حيث انتهى « البحراوى الصغير » ٠٠ وقف أمامها ليقول بنبرات كالفحيح :

« خدامك ابن عم كباره ٠٠ تأمرينى بايه » ؟!

بقدر ما احترمت شجاعة الآخر وهو بين سواعد رجالها ٠٠ بقدر ما احتقرته وهو حر ، طليق يطل النهم من عينيه المستديرتين

كسمكة سامة لاتؤكل ٠٠ ويبتسم ابتسامة تثير الحنق ، والقرف ٠ قرأت ما فى رأسه لأن ما على وجهه كذب فى كذب ٠ الخطر الحقيقى هذه المرة هو أن تمنحه هو أيضا ما يطمع فيه ٠ دارت الفكرة فى رأسها سريعا ووجدتها مناسبة لكى تنفيه من الاسكندرية كلها ٠٠ ولو ازداد طمعه ٠٠ فليذهب الى الشيطان مع كل الذى يأخذه معه فى منفاه ٠ قالت فى استطلاع :

« عايز شغلانه كبيرة » ؟

انعكس على الحائط بريق عينيه المستديرتين :

« قلت لك أنا خدامك » ٠

أكل الطعم ٠ يبقى أن تشد السنارة :

« أنا عايزه أفتح محل كبير فى مصر ٠٠ حامونك بكل حاجة ٠٠ عربية مخصوصة تنقل لك السمك من الفجرية ٠٠ وانت تبيع ٠٠ وكل عايد يبقى مناصفة ٠٠ قلت ايه » ؟!

لم يندفع بالرد كما كانت تتوقع ٠ الثعبان يتراجع برأسه الى الوراء ٠٠ ثم يهبط ناحيتها فى حركة مفاجئة ، غادرة ٠

« والخسارة » ؟!

تعرف أن أنثى النمس هى الوحيـدة التى تقتل الثعبان ٠ الخسارة لا تعنيها ٠٠ كل ما تريده هو أن يبقى بعيدا ٠٠ ولو كانت تريد الكسب لرتبت حساباتها بشكل مختلف ٠ ،

قالت كأنما تضربه فوق رأسه :

« تبقى تاخد سمك من البحر الأحمر » !

لم يكن بحاجة لأن يفهم مقصـدها ٠ لو توقفت عن امداده يتحول المحل الى جدران يتطاير عليهـا الذباب ٠ حينما تكلم عن

الخسارة كان يقصد أن يكون كل شيء خالصا له ‥ فعلت ذلك مع « البحراوى الصغير » ‥ فلماذا لاتعامله بالمثل · من أين جاءت بكل هذا الدهاء ؟ ‥ هل ينضج الأزواج على الزوجات ؟ ‥ قال كأنما يلحق بالقطار فى آخر لحظة قبل أن يفوته :

« والحساب » ؟!

سؤال توقعته · واجابته جاهزة :

« العربية تنقل لك مليانة ‥ وترجع مليانة » !

صاحت أعماقه : « يا ابنة ابليس » ! ‥ لو جادلها بعد ذلك يضيع منه كل شيء ‥ فهل التى تتحمل مصاريف فتح المحل ، وهى التى تتكفل بكل مصاريفه ‥ قبل أن يتكلم سمعها تقول فى حسم :

« يا قطة المحل باسم كباره ‥ والسجل التجارى ‥ » ·

توقفت دون أن يقاطعها · حان وقت ملاعبته ليخرج من السلة دون مزمار ‥ انتظرت أن يقول شيئا ‥ ولم يتكلم ‥ ظل يترقبها فى حذر · علت ضحكتها :

« والسجل التجارى حيكون باسم مراتك ‥ ما هى حتكون معاك فى مصر هى والأولاد ‥ هات البيانات ‥ ونفتح المحل بعد شهر من دلوقتى ‥ مع السلامة » !!

انسحب وكأنه فى سباق للجرى ‥

تنهدت فى ارتياح ‥ طامع آخر تتخلص منه ‥ تعرف أنه ليس أول الطامعين ، ولا آخرهم ‥ لكنها تتمنى أن يبتعدوا عنها ‥ تريد أن تتفرغ له وحده ‥ تريد أن تتوقف عن السلطان ‥ ليكون له السلطان !

تشير بيدها لتصبح وحدها • تدير قرص التليفون كى تحدثه فى المصنع •• تعرف أنه ليس هناك •• وتعرف أكثر أنه لم يخبرهم بالمكان الذى يقصده • لاتتردد لتسأل عما اذا كان فى البيت •• يأتيها الجواب بأنهم فى البيت سألوا عنه أيضا •• تضع السماعة فى توجس أين هو الآن ؟ •• هو يعرف الموعد الذى تتصل به فيه •• وهى تعرف أنه أصبح يحكى لها كل كبيرة وصغيرة فى حياته •• ماذا حدث ؟!

تخايلها صورته •• الشعر الأحمر والعينان الزرقاوان •• تدغدغ مسامعها همساته ورأسها فوق صدره •• يجتاحها حنين جارف له •• أسرها أنه سرعان ما يحدد موعد حفـل الزواج فى « مرسى مطروح » •• فهل ذهب الى هناك ؟ •• لاتستطيع مقاومة الخاطر بأنه ذهب الى هناك •• ليتفق وليعد كل شىء •• ياحبيبى •• انتبهت الى أنها كادت تناديه باسم آخر غير اسمه • كادت تقول •• يا مصطفى •• اعتذرت بينها وبين نفسها •• كأنها قالت الاسم •• وكأنه سمعه وأشـــاح عنها فى غضب كطفل صغير ، شــقى !

يا حبيبى يا فوزى ••

لماذا لم تسألنى أن أذهب معك ؟

لن أسامحك •• لن أغفر لك ••

تعتريها الحيرة والدموع تسيل على خديها •• الى هذا الحد تحبه ، تعشقه •• الى هذا الحد عادت بها السنين الى الوراء •• لتكون فى الرابعة عشرة بريئة ، باكية ؟!

متى تعود ؟!

- ٣٥ -

هى مصممة « الديكور » ٠٠ وأنا مصمم كل شيء ٠ طـول عمرى وأنا صياد ، وكل اللاتى وقعن فى شــباكى حكاية ، وهذه وحدها حكاية أخرى ٠٠ يكتمل فيها كل شيء ٠٠ ولا ينقصها الا أن تكون خالصة لى ، وتنسى هذا الفنان الذى يتعامل مع الفن بالشوكة والسكين ، ولايحب « الفتة » على الموائد المتخمة بالولائم ٠٠ ما قيمة الفن يا عزيزى اذا لم يملأ جيــوبنا بالأموال ؟! ٠٠ وما جـدواه اذا ما تراقصت أمامنا الحوريات ، ونغمض العيون ، ونطلب الذهاب الى المأذون ؟!

لمح الزجاجة التى ترافقه فى وحدته ، وتحسر أنها قد فرغت ٠٠ واصل حديثه مع نفسه وهو يتمايل بنشوة تترنح معه ٠٠ وهو يكاد يمسك الهواء ٠٠

يا عادل يا مرسى ٠٠ يا عزيزى ٠٠ أنا أريــد « منى » ٠٠ أريدها جسدا متمردا أعرف كيف أروضــه ٠٠ وأترك لك الروح لتقوم أنت بترويضها ٠٠ أريدها فتنة تتعلق بذراعى أمام الناس ، وتستكين فوق صدرى مع الضــوء الأحمر الخافت ٠٠ ولتكن لك بعد ذلك أيقونة تتعبد فى محرابها ، وتتلو طقوسك البوذية !

بعد الحفل الذى رفضت حضوره ٠٠ وأنا أعرف السبب ٠٠ أوهمتك أنه من أجلك لأنك تعاونت معنا فى « الديكور » ٠٠ أى

تعاون ؟ ·· هل هى مشكلة ؟ ·· المخازن عندنا مزدحمة بالأخشاب والديكورات ·· ونحن لم نقدم رائعة من روائع « شيكسبير » ·· وكان من الممكن أن ألغى « الديكور » نهائيا ·· يابنى آدم افهمنى ·· كل ما فعلته مع « منى » كان من أجلها هى ·· من أجل جمالها ·· ثرائها الفاحش ·· من أجل أن أنتزعها منك ·· ألا تعرف أنها هوايتى ؟ · ألا تعرف لعبة الصياد والفريسة ؟!

أعرف أننى بدأت أسبب المشـــاكل لك ·· وأبسط تلك المشاكل ·· الغيرة ويامتعتى عندما تشقى بالغيرة ·· هل أقول لك انها بدأت الاســتجابة معى ؟ أنا أفهم معنى اســتجابة الأنثى ·· تضحك لأى كلام تقوله ·· تتغافل اذا أطلت مسك يدها ·· لاتشيح بوجهها عندما اقترب منه بأنفاسى الملتهبة ·· عندما أريدها فتريدنى ويبقى أن نكون معا فى المكان المناسب حتى تتخلص من ملابســـها ومنك !

متى تنزل يا عزيزى من عليائك ؟ · أنت فنان وأنا فنان ·· اسألهم فى وزارة الثقافة وهم يخبرونك بهذه الحقيقة التى قد تغيب عن خاطرك ·· وبالأمس كانوا يتحدثون عن لوحاتك وتماثيلك ·· واليوم يتحدثون عن العرض المسرحى ·· وكانوا يسبقون اسمى بلقب « الفنان الكبير » ·· هل قرأت ؟ ·· أم تراك اكتفيت بقراءة اسم معبودتك مصممة الديكور ؟! ·· أنا الذى كنت وراء نجاحها وشهرتها ·· فماذا فعلت أنت لها ؟!

فى المرة القادمة سأصارح « منى » ·· فريستى ·· بكل شىء ·· ولا مانع من أن أصارحها برغبتى فى الزواج منها ·· نعم أنا متزوج ولابد أنها تعرف ذلك ·· وأنا على أتم استعداد لاستبدال ورقة الطلاق بورقة الزواج ·· معى ستكون فى العالم الذى بدأت تتوه فى بريقه ·· عالم « المجد » كما يقولون ·· ومعى تطوف العالم ·· عالم وعالم ·· هل رأيت ؟!

أمسك بالزجاجة الفارغة وألقى بها فوق الأرض . اعتراه الضيق أنها لم تتحطم .. دارت دوراتها سريعة .. ثم استكانت .. من أين له الآن قطرة أخرى ؟ .. لن يستطيع في هذا الوقت المتأخر من الليل..وصورة « عادل مرسى » لا تريد أن تبارح هذا الليل كما بارحته الزجاجة .. لو التقيت به لأخذته في أحضاني .. هكذا يجب أن يكون لقاء الفنانين ولن أصارحه بما أريد حقيقة أن أصارحه به .. « بعد اذنك .. اصرف النظر عن منى .. يجب أن تتنحى » !

هاجمه خاطر أن يطلبها بالتليفون .. مد اصبعه ليدير القرص .. اكتشف أنه قد نسى الرقم .. أين النوتة ؟ .. اختفت هى الأخرى .. تهللت أساريره عندما أدرك أنه يتذكر رقم « أتيليه » عادل مرسى .. الرقم يسهل تذكره .. طلبه .. بعد رنين متواصل سمع صوته .. تكرر سؤاله عن الذى يطلبه .. لم يتكلم .. أطلق ضحكة عالية ثم أسرع بوضع السماعة .. لن يعرف من الذى طلبه وضحك .. وقد يعرف ولن يهدأ له بال ..

أنت تعرف يا عزيزى معنى تلك الضحكة ..

انها ضحكة الانتصار ..

كامل شريف أحكم نصب شباكه ، وهو لا يحب أن يشاركه أحد الصيد .. يقولون ان الصيد يعلم الصبر .. وهو قد نفد صبره ..

هذه السمكة « المياسة » المفضضة ، المتلاعبة .. يجب أن تكون لى وحدى !

● ●

هل يكون السفر هو الحل ؟! ..

أمامه أكثر من عرض للتدريس خارج مصر .. وأمامه أيضا فرصة استكمال ما بعد الماجستير والحصول على الدكتوراه ..

وايطاليا هى المكان المناسب ·· فهل آن الأوان ليقدم على هذه الخطوة التى تراجع عنها كثيرا بأمل أن يرتبط بها ، ولعلها تسافر معه ·· أعيته الحيل معها فهى تقترب منه أشد الاقتراب ·· ثم تجفل مرة واحدة ·· توافق ولاتوافق ·· يعرف أنها قدره ، ويعرف أيضا أنها قد تقضى عليه ·· أعلن الحب عليها ·· أعلن خطوبته ·· وفى كل مرة كانت تبدو كشراع قارب أبحر بعيدا ·· يأخذه الموج الى فوق ·· فيظهر ·· ثم يطويه بما يوحى بالغرق ·· ويختفى ·· ثم يظهر من جديد ·· هل تتعلق حياته كلها بأهداب هذا الشراع ؟·· كلما أيقن أنه قد فهمها خـــير الفهم ·· زاد يقينه بأنه لم يفهمها أبدا ·· يوم الحفل ، ويوم أن اعتذر ·· تبين من صوتها أنها غاضبة ·· لم يتصل بها كما عاهد نفسه فى انتظار أن تتصل هى به ·· ولم تتصل ·· هذه المرة طالت فترة ابتعادها عنه ·· ماذا حدث ؟·· هل تكون قد غيرت رأيها ؟ ·· هل هذا الفنان الدعى ، المزعوم هو السبب ؟ ·· هل وقعت فى شباكه ؟ ·· الى متى يبقى عذابه ؟ ·· انه يكاد يشم رائحة احتراقه ·· كأن كيانه تمســـك فيه النيران فيتلاشى ويتحول الى رماد ·· لابد أن يفيق لنفسه ، لفنه ، قبل أن يصبح من المجاذيب ·· « عادل مرسى » يجب ألا يفعل ذلك بنفسه ، وباسمه ·· طالما سخر من هذيان « قيس » ومن شروده فى الصحراء مناديا « ليلى » حتى يبح صوته · ويوهن جسمه ·· ويسقط ·· ويموت ·· كان يقول ان أية فتاة فى الدنيا لا تستحق أن يقتل محب نفسه من أجلها ·· اختارت غيره ، أو أجبروها على اختيار غيره ·· غير مهم ·· يبحث عن فتاة أخرى ·· ففى النهاية كلهن سواء !

هو لايستطيع الآن السخرية من « قيس » ومن هذيانه ··

هذيانه هذه الأيـــام ·· وبعد قرون ·· لايفترق عن ذلك الهذيان ··

فهل يريد السفر للهروب من الهذيان ؟ . هل يلتقى فى البعد مع الفتــاة الأخرى التى يمكن أن تنتشله من هوسه ، ومن فقدان اتزانه ، ومن ضياعه الذى ليس بعده ضياع ؟!

لا ملجأ أمامه الا أن يعاود ما فعله منذ زمن بعيد ..

يقابل أختها « أحلام » .. يحكى لها كل شىء .. وينتظـر حكمها اذا كان لها حكم !

فوجىء بها تقول باسمة :

« هو أنتم موش مخطوبين » ؟!

تساؤل معقول . بماذا يجيبها ؟ .. أمسك بذقنه البوذية وكأنه يمسك بفرشاته ، اندفع يبث شكواه فى ضعف لم يتبينه الا عندما لاحظ احتفاظها بالابتسامة رغم الشجن الذى يلون كلماته .. قال كأنما يستعيد قوته :

« أنا حاسافر بعد شهر .. شوفى رأيها ايه » ؟!

ضايقه قولها بنفس الابتسامة :

« تعرف ؟ .. اعترفت لى بحبك » !

صاح من أعماقه فى حيرة :

« يعنى ايه ؟! .. وليه المماطلة » ؟!

قالت فى جديه لم يتوقعها :

« المسألة دى بتاعتكم انتم الاتنين .. موش أنا اللى أشوف رأيها ايه .. انت اللى تشوف رأيها ايه .. ويمكن تتم كل حاجه قبل ماتسافر .. ويمكن تسافر معاك .. ويمكن مافيش حد يسافر خالص : فاهمنى ؟!

انسحب دون أن يســـأل اذا ما كانت فى البيت . لو كانت

موجودة لجاءت ورحبت به ·· ويحتمل أيضا أنها موجودة ولا تريد أن تقابله ·· غاضبه منه ·· أو هاربة ·· لايعـرف ·· قدومه اليها اليوم هو أقصى ما يستطيع أن يفعله ·· فاما أن يتم كل شيء سريعا ·· وتصبح زوجته ·· أو لايبقى غير أن يسافر ·· وينساها ·· وتخرج من حياته !

قبل أن يغادر العمارة كانت تقف فى مواجهته ·· تنهد فى ارتياح ·· ظلمها ·· لم تكن فوق لترحب به · شـــدته من يده ليصعد معها ثانية · اعتذر · قالت انها لن تغضب هذه المرة لأنه جاء الى بيتها · عرضت عليه أن تصـحبه الى أى مكان يشـاء · لم يتردد · جلس الى جوارها في السيارة والمشاعر تتضارب فى صدره · قال وهو لاينظر ناحيتها :

« أختك أحلام قالت لى » !

ردت ببساطة :

« هو انت ماكنتش عارف » ؟!

عاد بنظراته اليها :

« وليه مانكملش كل حاجة ·· نستنى ايه » ؟!

قالت فى دلال :

« أصل أنا عايزه أسافر ·· وبعدها ··

قاطعها فى فرح غامر :

« تسافرى معايا » !

واصلت دلالها دون أن تعرف أنها تطعن قلبه :

« حاسافر مصر ·· الفن كله هناك ·· عايزه أحقق نفسى أكثر فى فن الديكور !!

- ٣٦ -

لاتفيق من الحلم ·· من الأحلام ··

تطل عليهــا أمها « فتحية » ضــاحكة ·· تخرج لها من بين صدفتى « أم خلول » عملاقة · رثة الثياب · حافيــة القدمين · محسورة الرأس ·· تمد يديها فى الهواء لتتلقف الصاج المربع الأسود الملىء بالفطير ·· تدفع به اليها ·· تأخذه منها ·· تضعه فوق رأسها ·· تحاول أن تخرج مسرعة الى الشارع لتلحق بالموعد المبكر فى حلقة السمك ·· تحاول ولا تستطيع ·· تسمع ضحكات « فتحية » وقد تحولت الى عويل ·· أبوك يموت وأنت لاتتحركين ·· تبحث عن أبيها ولاتجده ·· ماتت قبل أن يموت ·· يقع منها الفطير فوق الأرض يختلط بمياه زرقاء فاضت من البحر ·· يظهر أبوها « حمامة » ليشدها من شعرها فى عنف ·· يصيح بأن تفتح الباب للمعلم الكبير ·· البحراوى على سن ورمح ·· تفتح الباب ·· يهجم عليها البحراوى ويعريها أمام الجميع ·· تحذره من العيون المتطلعة اليهما ·· ولكنه يبرك فوقها ·· تحس بدبيبه فوق بطنها · تصرخ مستغيثة ·· تسمع صــوت أبيها من بعيد ·· أغلقى الباب الذى فتحتيه ·· يتعالى بكاء منى أختها ·· يبكى « عزمى » معها ·· يقع أبوها وسط المياه الزرقاء والفطير المبعثر ·· تبحث عن شىء تستر به نفسها ·· لاتجد غير ملاءة أمها الســـوداء ·· تمسك « منى » بيد ·· وعزمى باليد الأخرى ·· تدخل بهما الحائط فتنهار

أحجارة بهما جارية نحو البحر ·· تسترشد بخطوط المياه الزرقاء المتعرجة ·· قبل أن تدرك الشاطىء يعترض طريقها ساعدان قويان ·· تفزع أنه يركل أختها منى ليلقى بها بعيدا ·· يسحب عزمى يده ويجرى مبتعدا ·· يصيح صاحب الساعدين القويتين ·· أنا كبارة ·· يهجم عليها ويعريها ·· ويبرك فوقها ·· يقف كل من فى الشارع للفرجة عليه وهو يلتهم ثدييها ·· ويغرس أنيابه فى عنقها ·· يدوى صوتها طالبة النجدة ·· تراهم يلوحون بأيديهم فى عدم اكتراث ·· تنشق الأرض الى نصفين ·· يسقط « كبارة » فى الهوة العميقة ·· تجرى مبتعدة تنادى أختها وتبحث عن أخيها ·· يرتفع النداء ·· لايجيبها أحد ·· تواصل الجرى ·· تصل الى المدخل الكبير لحلقة السمك ·· ترى « منى » واقفة تبيع الفطير مكانها ·· ترى عزمى يرش السكر الناعم فوق كل فطيرة ·· ينسكب السكر فوق الأرض ·· يتحول كل شىء الى اللون الأبيض ·· شلال من اللون الأبيض ·· ترفع يديها عاليا حتى لا تغرق ·· ترتطم يداها بصخرة عالية ملاصقة للقلعة الكبيرة ·· تسمع الصوت الذى تعشقه ·· صوت الولد الذهبى ·· أنا مصطفى تعالى ·· أرجعونى الى البلد وتهت هناك ·· استطعت الهرب لأجىء اليك ·· تعالى يا أحلام · أنا مصطفى ·· هل تذكريننى ! ·· تتطلع ناحيته ·· تسمع صوته ولا تراه ·· تصرخ منادية باسمه ·· يأتيها الصوت ضاحكا ·· هذا ليس اسمى الآن ·· أنا فوزى ·· تعالى يا عروس البحر ·· تعالى ··

لاتفيق من الحلم ·· من الأحلام ··

تراه فتجرى الى أحضانه ·· تحتمى به ·· ينشغل عنها بالجمع الكبير الذى يتحلق فى الشارع ·· وهو يكرر النداء · أبحث عن بارقة شجاعة ·· أفيقوا · يختنق صوته · ينتظر حتى يسمع صداه القادم من البحر ·· أبحث عن بارقة شجاعة · تنتظر حتى ينفض الجمع · تسرع ناحيته من جديد ·· لاتجده ·· يهبط فوق رأسها طائر نورس أسود ·· تصرخ فى رعب ·· يطير النورس

بعيدا عنها ·· يكبر ويكبر ·· يفـــرد جناحيـــه ليغطى كل شيء بالسواد ·· لاترى ما حواليها ·· تختلط الأصوات فى مسامعها ·· عالية ·· مدوية ··

« أبوك يموت وأنت لا تتحركين ·· اسمعينى يا أحلام ·· أنت فى الليل عروس البحر وفى النهار النورس ·· أغلقى الباب الذى فتحتيه ·· أنا البحراوى ·· تعالى ·· أنا كبارة ·· تعـالى ·· أنا مصطفى ·· تعالى ·· أنا فوزى تعالى ·· » ·

تدور ·· وتدور ·· لاتتبين واحدا من أصحاب النداء ·

تفيق من الحلم ·· من الكابوس ··

لاتبقى فى عيونها غير صورة أمها « فتحية » ·· وهى تمـد يديها كالمستغيثة فى الهواء ·· رثة الثياب ·· حافية القدمين ·· محسورة الرأس !

- ٣٧ -

قوة خفية ، ساحرة ، داهمتها هذا الصباح ..

تغسل عيونها بالعينين الزرقاوين .. وبالشعر الأحمر . تتعرى لترتدى الفتنة قطعة بعد قطعة . تطلق شعرها الأسود الى الظهر حرا ، طليقا .. أحلام يجب أن تبقى أحلام .. لن تسأل عن الذى تعرف جوابه .. آن الأوان لتتمرد على نفسها .. وعلى أوهامها ، وعلى العالم كله .. لماذا تكفر بنعمة القوة .. بمتعة الجاه .. وبجبروت السلطان ؟!

اختارت ، فكان فى اختيارها ضعف ، وكان فيه أيضا أن تكون كما أرادت دائما أن تكون . يجب أن تتخلص من خيوط الضعف التى تتمايل فى وجدانها . تريده ويجب أن يكون لها . لن تهادن باسم الحب . بل تحارب باسم الحب .. تتحدى كل الذين احتفظوا ببقايا الحقد بعد أن تغلبت عليهم ، وتتحدى الذين يقولون الكلمات الكبيرة ، الزائفة ، عن شرائها للرجل .. وعن تدميرها لأسرته . لو عرفتم ما قلتم هذا الذى تقولونه . اختطفت . وضعت .. وترملت وورثت .. لست العجوز المتصابية .. ولست عديمة الجمال .. أنا عروس البحر تسير فى خيلاء فوق الأرض .. أنا الجمال لمن يعرف قيمة الجمال !

عرفت أنه فى « مرسى مطروح » فى نفس اللحظة التى كان فيها هناك . حكى لها كيف التقى بها عند قمة جبل « عجيبة » دون

أن تذهب الى هناك ٠٠ هل هذا ما يسمونه توافق روحين ، هل هذا هو الحب الحقيقى ، هل هذا هو العشق الذى ما بعده عشق ؟

نعم ٠٠ حين تذوقته ، وحين تذوقها ٠٠ عرفت المذاق ٠٠

كأنما كل ما مر بها فى حياتها كان ينتظر تلك اللحظات ٠٠ يترقبها عبر ليـال طويلة قاسية ما كانت تعرف فيها العطـاء ٠٠ تحاول الاستعانة بالخيـال لتزيح به عبء الواقع الذى يدوس كيانها ٠٠ ولكنها كانت غائبة ٠٠ دائما غائبة ٠٠ يبدأ ما يبدأ ٠٠ وينتهى ما ينتهى فكأن انسانة أخرى هى التى كانت مكانها ٠٠ انسانة لا تعرفها وتتمنى أن تختفى من حياتها كلها ٠٠

فى ليلة لن تنساها بكى « البحراوى » ورأسـه مدفونة فى صدرها ٠٠ علا نحيبه كطفل صغير ٠٠ كان يغمغم بكلمات عن الحب ، وعن سـعيره ، وعن خيبته ٠ أشفقت عليه ٠ مـدت يدها لتربت فوق رأسه ٠٠ تقول فى حنان انها معه ٠ ثم سرعان ما لعنت نفسها على هذه الشفقة ، وذلك الحنان ، والكذب بأنها معه ٠٠ عمرها ما كانت معه ٠٠ وعمرها ما كانت مع « كبارة » ٠٠ هى معه وحده ٠٠ مع « مصطفى » الذى كان ٠٠ ترتعش أوصالهـا لو لامست يده يدها دون أن تلامسها ٠٠ تنـاديه ٠٠ تنـاجيه ٠٠ تستمتع من العذاب ٠٠ بالعذاب !

فهل يخلصها « فوزى » من العذاب ، ومن كل عذاب ؟!

تترك سيارتها ، وتتسلل الى صخور « بئر مسعود » ٠٠ ثم تتهادى فى انتظار أن يأتى فى موعده ٠ يتطاير شعرها الطليق فكأنها تتركه يأخذها الى حيثما يريد حتى لو طواها هدير الموج ٠ تدمدم فى صـــدرها طبول سعادة طاغية ، تتمنى لو تغنى ٠٠ لو ترقص ٠٠ لو تصيح منادية له ٠ هذه بئر الأمنيات ٠٠ تتعانق مياهها مع البحر تحت الصخر ٠٠ كأنما تتحدى ، كما تتحدى هى ، المستحيل !

قالت له مداعبة فى آخر لقاء :

« أعشق حمرة شعرك فى الضوء الأحمر ·· نار ونار » !

همس بالقبلة التى ما زالت تحس حفيفها فوق شفتيها :

« أخجل من غزلك · أنت التى تستحقين الغزل » !

كرهت ، وكأنها شاعرة ، أن يأتى النهار ·· أن يتركها ·· أن يذهب الى امرأة غيرها ·· فهذه المرأة تأخذه منها ·· تعذبه ·· تحاسبه حساب الملكين ·· فلماذا يذهب اليها ·· لماذا يدوس الطريق الى الجحيم بقدميه ؟!

قالت له فى ضعف ضاقت به :

« أتمنى أن تكون لى وحدى » !

يشقيها جوابه :

« هى أم أولادى » ·

تبتلع الشقاء بكل مرارته · هكذا عودتها الحياة ·· عمرها ما سعدت بالبداية ·· دائما سعادتها تأتى بعد الزمان بزمان ·· بدأت بالفقر ·· بدأت بالقهر ·· وحينما ولى الفقر ولى معه الهناء ·· وحينما انتهى القهر انتهى معه الصفاء !

سألته وصدرها فوق صدره :

« هل حان موعد حفل الزواج » ؟

سمعته كأنها لم تسمعه :

« أنت زوجتى » !

حاولت أن تبتعد عنه ولم تستطع :

« أمنيتى أن يعرف العالم كله » ·

همس وكأنه لم يهمس ·

« أنت العالم كله » !

تخفت طبول السعادة ·· تضيع نشوة اللقاء ·· تغرق أمنيتها في أحضان من البشر ··

تنتظره ·· ولا يجىء !!

- ٣٨ -

طرق الباب ، ولم يكن وحده ، كان معه الجناحان اللذان يطير بهما ٠٠ شقيقتاه « أحلام » بما تملك وبما تحكم ٠٠ و « منى » فنانة ديكور المسرح التى أصبحت مشهورة ٠٠ هذا هو سبيله الوحيد لتكون « بسمة » له ٠ استقبلهم « حسن حسنين » صاحب سلسلة بوتيكات الملابس الجاهزة فى « سعد زغلول » أكبر شوارع وسط البلد بترحاب شديد ٠٠ وعاونته زوجته اليونانية « ميرا » فى التقارب والألفة ٠٠ وكأن هذه الزيارة قد تأخرت سنوات طويلة !

دخلت « أحلام » فى الموضوع ٠٠ طلبت يد « بسمة » لأخيها « عزمى » الذى أعجب بها ٠٠ ولم يفتها أن تقول انه سيتخرج فى الكلية البحرية فى نهاية العام ٠٠ وانه جاهز بكل شىء ٠ وظل هو مبتسما وكأنما تواجهه عدسة التصوير ، لتشارك « منى » فى الكلام عن مناقبه ، وكيف أن الوفاق بين « بسمة » وبينه ٠٠ هو خير وفاق ٠٠ فهى بطلة سباحة ، وهو ضابط بحرى ٠٠ والبحر وراءهما ٠٠ والبحر أمامهما !

واصل « حسن حسنين » ترحيبه بالجميع وكأنهم يتحدثون عن فتاة أخرى غير ابنته « بسمة » ٠٠ تطرق الحديث الى الأعمال ، والى المشروعات ، والتقطت « أحلام » الخيط لتبدى استعدادها للمشاركة ٠ نظر « عزمى » ناحية « منى » ، وفهمت أنه يريدها أن

تسأل عن « بسمة » ·· وهل هى خارج البيت ؟ ·· وقبل أن تسأل ·· قالت « ميرا » فى عربية ممزوجة باليونانية ، وببساطة شديدة وكأنها تدعوهم لشرب عصير المانجو ·· ان « بسمة » تحتفل بعيد ميلاد صديقها المفضل !

انتفض « عزمى » ·· وعلت ضحكة « منى » ·· ورجعت « أحلام » برأسها الى الوراء · وواصل « حسن حسنين » بساطة زوجته ليقول انهما سيعلنان خطبتهما فى القريب العاجل · وان هذا هو اختيار « بسمة » ·· وأن كل شىء قسمة ونصيب !

تبادلت « أحلام » النظرات مع « منى » ·· وانكمش « عزمى » فى مكانه وكأنه التصق بالمقعد · صدمة لم يكن يتوقعها · هل يترك جلسته ليعلن انتهاء الزيارة ·· وينسحب وتنسحب شقيقتاه معه ؟ ·· هل تنتهى كل أمنياته بهذه الصورة المفجعة ؟ ·· أفاق على صوت « أحلام » وهى تعتدل فى كبرياء :

« مهر بسمة مليون » !

الذى انتفض هذه المرة هو « حسن حسنين » ·· برقت عيناه وسال لعابه رغما عنه · سمع من قبل كثيرا عن « أحلام » ·· ويعرف أن كلمتها تفوق كلمة الرجال ·· ورقم المليون يساوى الكثير ·· ويتعدى دلع البنات فى اختيار زوج المستقبل ·· فهل يفتح الباب من جديد بعد أن أغلقه هو و « ميرا » بقضبان الحديد · تسابقت الأفكار فى رأسه ، ووجد الحل فى أن يستأذن لوقت قصير يتبادل فيه الرأى مع زوجته ··

قالت « منى » فور ابتعادهما :

« ضربة معلمة » !

لم يتكلم « عزمى » وقد هربت الدماء من وجهه · لاحظت « أحلام » حالته فقالت وهى تبتسم فى اعتداد :

« بسمة حتكون عشانك » !

حين عاد « حسن حسنين » ومعه « ميرا » ·· لم يكونا وحدهما ·· كانت معهما « بسمة » تتهادى بقوامها الفارع ، وبجمالها الفائق ·· انتظرت حتى جلس أبوها وجلست أمها واتجهت ناحية « منى » ترحب بها ، وتجاهلت « أحلام » ، وغفلت متعمدة عن عزمى ·· وتعمدت أن تطيل الحوار معها عن النادى ، وعن الصديقة المشتركة · وعن سفرها القريب الى فرنسا للمشاركة فى البطولة الدولية للسباحة · تجاهلتها « أحلام » بدورها وتشاغلت بالحديث مع « حسن حسنين » ·· وبقى « عزمى » ينظر الى « بسمة » فى حسرة ، وفى انبهار !

قامت « أحلام » واقفة معلنة انتهاء الزيارة ·· كانت تطيل النظر الى « حسن حسنين » وكأنما تسأله الجواب على العرض الذى تقدمت به · حركت شفتيها فى صمت وكأنها تقول ثانية « مليون » ·· وحرك « حسن حسنين » شفتيه بنفس الصمت ، ورفع يديه أمام صدره ليعلن حيرته !

قالت « ميرا » ببساطتها الماكرة :

« أهلا وسهلا ·· نشوفكم فى حفلة خطوبة بسمة » !

أطبق الصمت على الثلاثة فى طريق العودة · علت ضحكات « منى » فاستدار « عزمى » ناحيتها فى غضب ، وزجرتها « أحلام » حتى لا تزيد مواجع أخيها · قالت « منى » بنفس طريقة « ميرا » وهم عند الباب وان قصدت واحدة أخرى :

« أهلا وسهلا ·· نشوفكم فى حفلة خطوبة مروة » !!

● ●

كيف عرفت زوجته « أسماء » كل التفاصيل ؟ ·· من الذى تطوع ليخرب بيتين ·· بيته القديم ·· وبيته الجديد الذى ينساق اليه كالمجذوب ؟! ··

قالت كلمات حاسمة بلسان يطلق الرصاص ، وبعيون تذبحه بالخيانة ، وبالغدر ، وبنكران الجميل ·· لم يرها أبدا على هذه الصورة ·· تحولت الى نمرة شرسة مفترسة ، والذراعان المفتوحتان اللتـــان كانت تنتظره بهما ·· ضــاقت المسافة بينهما وتشنجت الأصابع لتتوعده بالخنق ، وبالموت ·· لم تولول باكية ، ولم تركع أمامه على قدميها حتى لا يقدم على ما عرفت أنه قادم عليه · كانت قد أصدرت الحكم النهائى دون انتظار أى استئناف ··

« المصـــنع باسم الولد والبنت ·· ولن تدخله ·· والبيت باسمي ·· ولن تدخله ·· والولد والبنت فى حضانتى ·· ولن تراهما ·· وأنا لن أرضى بغير الطلاق ·· وهنيئا لك بتاجرة السمك تأويك وتصرف عليك » !

خنقته وان ظل يتنفس الحياة ·· يهون كل شىء الا حرمانه من ابنـــه ومن ابنته · كأنما تحرمه من خفقان قلبــه ، ومن لهث أنفاسه · و « أحلام » هل تقبله وهو فى نقطة الصفر ؟ · قطعا ستقبله · قالت له أكثر من مرة ان كل ما تملكه تحت أمره ، ورهن اشارته ·· فهل يوافق ، وهو الذى اشترط أن يكون الرجل الذى يتصرف ، ويتحمل المسئولية كاملة ؟ ··

موقف صعب وقع فيه رجال كثيرون غيره ·· وكان يقولها صراحة بينه وبين نفسه كلما سمع عن قصة من يقع فى غرام جديد ويضحى بزوجته وبأولاده ·· بأنه انسان مغفل ، حمار ، يترك الجذور ليقع فوق الأرض متسولا عواطف تشتعل فى الليل ، وتتبدد فى النهار !

فما باله وهو يعايش نفس القصة ؟ ···

هو المطلوب منه أن يتخذ القرار ··

وهو هذه المرة ·· المغفل ، والحمار !

لا سبيل أمامه الا أن يعرض على « أحلام » تأجيل كل شيء . ينتظران الفرصة المناسبة ربما تغفل « أسماء » عن مرقبته ، وربما يستطيع اقناعها بالمستحيل الذى ترفضه ، حاول وكلما حاول .. سمع نفس الجواب فى الناحيتين .. الجنة .. والنار ..

أحلام تتعجل حفل الزواج .. ليلة من ألف ليلة .. لهما ، ولكل الناس .. ولاعلان الحب .

وأسماء تطلب الطلاق .. الدمار .. الحرمان .. واعـــلان الحرب !

هل جمع أحد قبله بين الجنة والنار ؟ .. أن يهبط عليه ملاك بأجنحة بيضاء ويطويه ، ليطير بعيدا الى جزيرة صغيرة فى خفايا الأفق .. ثم يتراخى الجناحان ليأخذه الملاك فى أحضانه .. يعشق العشق .. ويغرم بالغرام ؟!

أن يفرد الملاك جناحيه ليعود به الى حيث ما كان .. ليسعد بالخشونة التى ما زالت ناعمة لابنه .. وبالنداء الذى يهز الوجدان لابنته .. وللذراعين المفتوحتين لزوجته صارخة فى وجد .. أنت ملكى وحدى ؟!

وافقت « أحلام » على أن يحتفظ بزوجته .. فلماذا لا توافق أسماء على أن يحتفظ بأحلامه ؟! .. لماذا تشويه بالنار .. لماذا تحرمه من الجنة ؟!

زهل يضحى بكل شيء ؟ .. هل يستسلم ؟ .. هل يذهب اليها ليقول لها فى ضعف أنا ملك يديك .. اطعمينى .. وأغدقى على .. وأمتعينى .. فأنت التى سعيت الى وأنت التى اخترت .. فادفعى الثمن ؟!

لن يرضى لنفسه أن يكون هذا الرجل ..

ولن يرضى لنفسه أيضـــا أن يكون تحت رحمة زوجته ·· يخاف منها ، ومن تهديدها ، ومن وعيدها ·· فيرجع اليها معلنا التوبة ·· ليحتفظ بها ·· وبالمصنع ·· وبأولاده ·· وبحياته كما كانت قبل أن تظهر أحلام ·· لتتلاشى كل الأحلام !

واجه زوجته بعد طول عناء :

« تجربة عابرة وانتهت » !

اندفعت قائلة :

« تجربة قاسية ·· لى ولك » !

تركها قبل أن تجره الى التفاصـيل · قبل أن تتشفى فيه وتسمعه تلك الكلمات التى تذبحه بها ·· يعرف أنها لن تتوقف عن مراقبته ، ومتابعته ، وحسبان كل ثانية ودقيقة فى حياته ·· متى ترك البيت ؟ ·· متى غادر المصنع ؟ ·· من الذى التقى به ؟ وربما تعرف ما الذى يفكر فيه ·· ومن الذى يشغل قلبــه ·· فالحرب لا تعرف الحب !

تجاهل كل نداءات « أحلام » فى قسوة ليست قسوته ··

تقطع قلبه حينما حان موعد لقائهما عند « بئر مسعود » ولم يذهب ··

كيف تضيع الأمنيات ·· عند « بئر » الأمنيات ؟!

طال انتظارها ، وطال عذابه ·· طال عذابها ، وطال انتظاره ··

هل تكون قد تنبأت ·· وفهمت ؟

سامحينى يا أحلام ·· لم يعد عندى من الأمنيات الآن ·· الا أن تغفرى لى ··

لن أكون لك !!

- ٣٩ -

أى نوع من الحب هذا الذى تعلنه عليه ؟!

هل يصبح قطعة « ديكور » فى حياتها ؟ ·· الفنان المشهور الذى يحبها وتحبه ، ولا شىء أكثر من ذلك ·· لا ارتباط ·· لا استقرار ·· لا جواب نهائى !

آخر تقاليعها هو سفرها الدائم الى القاهرة فى انتظار أن تفوز بتصميم ديكور مسرحية كبيرة لمخرج كبير ·· وفى كل مرة لا تعود الى الاسكندرية الا بالوعوذ ·· لا تعرف أن الوحوش هناك لن يتركوها تحقق ما تريد ·· عالم مثل الغابة الشعار السائد فيه هو « اقتل قبل أن تقتل » ·· وكل شىء عندهم ·· فنون !

حينما عاونها فى البداية لتصمم ديكور العرض المسرحى لوحش الاسكندرية الذى يطلقون عليه لقب « كامل شريف » ملك الاستعراض ·· كان يظن أنها بداية رحلة تجمعهما بعد الحب ـ لتكون لهما حياتهما الواحدة ·· محب ومحبوبته ·· زوج وزوجته ·· ولكنها كما يقولون ذاقت طعم المجد ، والشهرة ·· وهو طعم لا يعرفه الا القليلون ·· ربما يكون هينا بالنسبة للرجل أما بالنسبة للمرأة فهو الخطر ·· كل الخطر ·· اختبار دائم للقدرة على الاحتمال ·· وعلى عدم التفريط ·· وهو يعرف عشرات القصص للاتى قدمن كل شىء من أجل البريق ، وشعارهن أيضا كان ،

ولا يزال ــ لا أهمية لما يحدث فى الظلام ، ما دام يحقق النجاح فى النور !

حذرها كثيرا وكانت تجيب دائما أنهـا قد عرفت المناعة ، والحصانة من تجربتها مع « كامل شريف » .. استخدم معها كل الأساليب التقليدية ، والمبتكرة .. تباهى بأنه وضع أقدامها فوق أول درجات « المجد » الصاعدة الى فوق .. وأغراها بالمزيد اذا استمرت معه .. اذا كانت له .. وتقول له فى فخر واعتزاز .. انهـا قاومت .. وانهـا رفضت .. فالى متى ستبقى قادرة على الرفض ، وعلى المقاومة .. خاصة اذا عرفت أن « كامل شريف » يصبح مثل الفأر .. اذا عاونته بأسود ونمور عالم الفن الضارى فى العاصمة .. وحش هنا ووحوش هناك وهو حائر ضائع ، يتمنى الخلاص !

يلتقط أنفاسـه ليقول لهـا وقد التقيـا فى المكان الهادىء بالمعمورة :

« منى .. للمرة الأخيرة أنا عايز جواب نهائى » .

ترتفع ضحكتها كعادتها :

« معاك الجواب .. أنا معاك » !

تصيح أعماقه :

« لازم نرتبط » .

تتكلم فى جدية جديدة عليه :

« اسمعنى يا عادل .. حكاية الحب بينا مفروغ منهـا .. أنا بأحبك وعارفة إنك بتحبنى .. بس فى حاجة أنا خايفة منها .. ويمكن دى أول مرة أصارحك بيها .. أنا خايفه من الجواز .. حاسه انى ما أنفعش زوجة .. يمكن عشان تجارب أختى أحلام ..

ويمكن عشـان الوهم اللى بتقول انه خطف عيونى ٠٠ وخطف عقلى كمان ٠٠ المجد ٠٠ أيوه ٠٠ الشهرة ٠٠ أيوه ٠٠ انت معاك حق طب انت فنان ناجح ومشهور ٠٠ عارف ايه حيكون حالك بعـد الجواز ٠ حتى ولو كان الجواز ده منى أنا ٠٠ الانسانة اللى بتحبك من سنين طويلة ٠٠ نفس السؤال بأقوله لنفسى ٠٠ وأجاوبها برعبى من انى أبقى مصدر تعاستك ٠٠ وأنا عايزه أكون مصدر سعادتك ٠٠ فاهمنى يا عادل ٠٠ أنا حقيقى خايفه ٠٠ ساعدنى ٠٠ خليك زى ما عودتنى دايما جنبى ٠٠ أنا محتاجه لك » ! ٠

قال فى انفعال :

« أساعدك ؟! ٠٠ أساعدك ازاى ؟ ٠٠ عايزه كل حاجة تبقى زى ما هى دلوقتى ؟ ٠٠ طب ازاى ؟ ٠ انت فى الشرق ٠٠ وأنا فى الغرب ؟ ٠٠ عصر الرومانسية انتهى من زمان » !

فوجىء بها تقول فى دلال :

« انت اللى عايز الرومانسية » !

سأل فى انبهار :

« يعنى ايه » ؟!

علت ضحكتها وهى تحرك المفاتيح باصبعها فى الهواء :

« يعنى زى ما أنت عايز » !

فات وقت طويل دون أن يرد بكلمة واحدة ٠ هذا هو الجواب النهائى لها ٠ لا فائدة من الكلام ٠ تضع النقط فوق الحروف دون لف أو دوران ٠٠ علاقة خاصة ٠٠ نعم ٠٠ ارتبـــاط ، واعـلان الزواج ٠٠ لا ٠٠ هذه هى الانسانة التى يحبها حب « قيس » ٠٠ انه فعلا يريد الرومانسية كما تقول ٠٠ فلماذا يريد القيود ٠٠ كما تقول ٠٠ وكيف يضمن السعادة ٠٠ كما تقول ٠٠ والى متى ينتظر ؟!

عادت تحرك المفاتيح باصبعها فى اغراء قاتل . لو وافق لصعد معها الى شقتها لتكون له .. ليسبق الأيام والشهور والسنين دون أى انتظار .. فماذا يكبله ، ويمنعه من أن يصبح هذه المرة صاحب الجواب ؟ .. أن يصارحها كما تصارحه .. أن يطاول جرأتها ؟ !!

تعلق بفكرة هاجمت رأسه :

« نتجوز فى السر » ؟!

اعتدلت لترد فيما يشبه الغضب :

« الجـواز هو الجواز .. انت موش فاهمنى ؟ .. يمـكن بتحبنى .. لكن عمرك ما فهمتنى .. وعشان تفهمنى .. أقولك انى انسانة بأعبد حريتى .. عايزه أفضل زى الفراشة بألوانها الزاهية تطير .. وتطير .. و .. » .

قاطعها بغضب يفوق غضبها :

« وتتنقل من زهرة .. لزهرة .. و .. » .

بادلته المقاطعة ، والغضب من جديد ، وان تعالت نبراتها فى ثورة :

« لا .. بعد كده مافيش أى علاقة بينا .. بعد اذنك » !

انتفضت واقفة لتسرع ناحيـــة سيارتهـــا . بقى مكانـه كالمصعوق .. هل يمكن أن ينتهى كل ما بينهما بتلك الصورة .. هل قال ما أغضبها كل هذا الغضب ؟ .. هل يفقدها ؟ .. يفقد « منى » التى ترسم فرشاته وحدها كل ملمح من ملامح جمالها .. تصورها حتى فى الظلام ؟!

خسارة !!

- ٤٠ -

مرارة الاهانة أقسى من مرارة الفراق ..

تتمنى لـو أنه اختفى ، كمـا اختفى من حياتها .. « الولد الذهبى » .. مشاعر شجية ، قديمة ، تعودت عليها ، عايشتها ، استعانت بها على من أشقاها ، وأتعسها ، حتى تبقى كمـا يراها الناس .. تاج لا يستقر فوق رأسها .. معلق فى الهواء ، يخطف العيون ، وتعمى تلك العيون عن رؤيتها هى .. الانسانة .. أحلام !

تتمنى لو انه اختفى .. ولكنها تعرف مكانه .. وأحيانـا تراه .. تتعالى دقات قلبها وترتبك ، وتفيق وتتماسك قبل أن تجرى ناحيته وتلقى بنفسها بين ذراعيه .. وتناجيه كما كانت تناجيه .. هو فتاها الذهبى .. هو مصطفى .. وهو فوزى .. اختارته مرتين .. وتظل واقفة مكانها ترقبه .. تنتظر لمحة منه .. ولكنه يبدو كأنه قد فقد كل شىء .. البصر .. والمشاعر .. كأنها ليست أمامه .. كأنها ليست التى كانت رفيقة ليله ونهاره .. فماذا حدث ؟ .. لماذا يتهرب منها ؟ .. لماذا تراه ولا يراها ؟!

تتمنى لو انه اختفى .. لا تستطيع تقبل الاهانة .. تحاول ولا تستطيع .. تمنى نفسها بانه لو عاد .. تندمل كل جراحها .. لا اهانة ولا اهمال .. تصالحها البهجة فتطوى يدها الممدودة فى الهواء فى خيبة رجاء .. وكأنهما يدا « فتحية » حينما رأتها رثة

الثياب ، حافية القدمين ·· لو عاد تبتلع لوعة صياحها باسمه ، دون أن يجيبها ·· ليرد النداء ويتلقفهما الليل والنهار ·· اللهيب والأوار ·· ولكنه لا يعود !

تغافلت عن دبيب دقات الاهانة عندما قال « هى أم أولادى » ·· فمن هى ؟ ·· وماذا تكون « أحلام » ؟ ·· عندما قال « أنت العالم كله » ·· عرفت أنه يعلن الانسحاب ·· يتراجع ·· يهرب ·· هل كان يريدها فى الظلام وحده ؟ ·· حرام ·· ضاقت بالظلمة وبالظلم تعذبت بعذاب العذاب ·· لماذا لا يكون لها وحدها ·· لا تريد من الدنيا غيره ·· فلماذا تعطيها الدنيا دنيا الدنيا ؟!

تتوجه بكلماتها الى السماء ··

لماذا تغير « الولد الذهبى » ·· ولماذا تغير اسمه ؟!

طال انتظارها ·· وحينما وجدته ·· هرولت الى حمرة الشعر ·· والى زرقة العينين ·· فكان الزوج ·· وكان الأب ·· فماذا عنها هى ؟ ·· ماذا عن « مصطفى » الذى تتمنى أن يتلاعب فى أحشائها ·· فتصبح الأم ·· بعد أن حرمت من نعمة أن تكون الأم ؟!

هل تكتمل المصائب ، أم أنه ستر وحكمة ؟ ·· الطبيب يشق صدرها ، وينتزع قلبها ويرمى بها الى الأرض ·· دون رحمة ، ودون شفقة ··

لا يوجد حمل ·· لا يوجد طفل ··

تتلقفها الكلاب المسعورة وتنهش لحمها ، وتفتت عظامها ·· فهى عاقر ·· امرأة لمتعة واحدة خاطفة ، غير باقية ·· لحاضر هذه الليلة والليلة القادمة ·· صدر لا يعطى الحياة للحياة ، وقلب لا يعرف الحب الذى لا ينتظر المقابل ·· لا يعرف غير العطاء !

لا .. لم يضيع « مصطفى » مرتين ..

مصطفى يضيع من جديد كما ضاع فى الماضى .. وكما ضاع فى الحاضر .. يضيع من مستقبل عمرهـــا كله .. فهنيئا جسدى للكلاب المسعورة !

ضاعت أحلام ..

أين الأحباء .. منى .. ماذا كنت تقولين .. « اخترتك ملكة الجمال وأنا وصيفتك .. ليست هناك من تفوقك أو تفوقنى فى الجمال .. أين الرجل الذى يقدر جمالك » .

أخى عزمى .. ماذا كنت تقول .. « تسألين عن جمال الفتاة التى أحبها ؟ .. يا عزيزتى أحلام .. حينما يكون الـــكلام عن الجمال .. فلا توجد غير أحلام » .

أتذكر كلماتك يا حبى الأول .. أتذكر اللقاء .. أتذكر بيت الشعر الذى أصبح الذكرى التى تربطنى بك .. نعم .. كل من فى الكون يشكوه دهره .. ليت شعرى هذه الدنيا لمن ؟ .. لمن يا مصطفى ؟!

وأنت يا من هجرتنى .. وياليتك اختفيت .. كنت تتكلم عن الفتنة ، والرقة ، والعذوبة ، والنعومة .. كنت تلاحق أنفاسك بأنفاسى .. ما عرفت العشق الا بين يديك .. ونمت .. وآمنت .. وحلمت .. وضعت !

● ●

تخرج وحدها فى مواجهة العاصفة العاتية ، الهوجاء ، لا تبالى بصفير الريح ، ولا بالزوبعة الغاضبة . يشاغلها الصوت الذى يأتى من بعيد ..

تسمع صداه مدويا فى كل الأرجاء ..

هل عاد من جديد .. هل ظهر ؟

أتراه قابعا الآن فى زورقه البالى .. ينتظر عروس البحر ؟!

يناديها .. « اسمعينى يا أحلام .. البحر يتكلم .. البحر غاضب تعالى .. هلعى أن يضيع منك الحلم .. » .

اياك أن يضيع منك الحلم ..

هى عروس البحر .. وأنت عروس البحر ..

تعالى ..

تقفز الى أحضـــان الموج المتراقص ، الهادر ، الصاخب .. لا تغطس ولا تحرك يديها .. لا تهابه ولا تخشاه ..

تمشى بقدميها فوق الســطح .. تتقافز بين القمم الزرقاء العالية .

يتطاير ثوبها الأحمر .. فتتخلص منه ..

تصبح حرة ، شاردة ، طليقة .. تصبح كما تريد أن تكون .. كما أرادت أن تكون ..

يضوى جسدها العارى كتمثال ذهب فى موكب من الأمواج التى بدأت الاحتفال .

تتهادى فى عظمة ..

تتجه صوب الأفق البعيد .. تقترب منه .. تدخل فيه ..

تصيح مبتهجة من أعماق أعماقها :

« آه .. لن أعود » !!

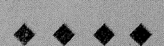
تمت بحمد الله

القاهرة – يونيو ١٩٩٤

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١١٨٥٧ / ٢٠٠١

I. S. B. N 977 - 01 - 7362 - 2



بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن علي التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك



١٥٠ قرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب